ليدرز Leaders العربية

العدد 46 • السعر : 2،5 د.ت • أكتوبر 2019

لماذا اختار التونسيون

قيس سعيّد؟

الافتتاحيّة

• بقلم عبد الحفيظ الهرقام

الدولة القويّة العادلة قضيّة وجود ومصير

ليس أشقّ على النفس في هذه الأيّام من الانخراط في لعبة التكّهنات بشأن تشكيل الحكومة من عدمه على إثر الانتخابات التشريعية التي أفرزت مشهدا برلمانيا مشتّتا يصعب معه حصول أيّة كتلة على الأغلبية المطلوبة دون تنازلات لا فكاك منها.

وقد يراد من خلال التصريحات الصحفية لهذا الطرف أو ذاك، المعلِنة في ظاهرها عن مواقف مبدئية لا تتزحزح إسدال حجب سميكة على ما يُعقد في الكواليس والغرف المغلقة من تفاهمات لهندسة منظومة الحكم في قادم الأيّام بعد أن اكتمل المسار الانتخابي بإجراء الدور الثاني من الانتخابات الرئاسية.

ومهما يكن من أمر الحكومة إن كُتب لها أن تتشكّل أو البرنامج الذي ستّتخذه قاعدة لعملها فإنّ ما يبدو لنا مُلحّا طرحه الآن على بساط التفكير مكانة الدولة ومستقبلها في ظلّ تشرذم غير مسبوق داخل العائلات السياسية بمختلف مشاربها وانقسامات حادّة صلب المجتمع التونسي قد أبانتها الانتخابات الأخيرة.

ومن دواعي الخوض في هذا المسألة ما آلت إليه حالة الدولة من هشاشة منذ 2011 جرّاء عوامل عدّة من بينها ضمور الحسّ المواطني وقصور السلطة في تطبيق القانون على الجميع في بيئة انتشر فيها الفساد والتهريب والجريمة والتطرّف وعشّش فيها الإرهـــاب الذي ما فتئ يشكّل خطرا جسيما على أمن البلاد واستقرارها، رغم اليقظة المستمرّة للمنظومتين الأمنية والعسكرية وارتفاع أدائهما في محاربته، إضافة إلى عجز الحكومات المتعاقبة عن إنجاز خطط ناجعة لإخراج البلاد من نفق أزمتها المالية والاقتصادية المستحكمـة ومعـــالجة ما نجم عنها من شروخ اجتماعية متفاقمة لا تزيد إلا في تعميق الهوّة بين الدولة والمجتمع.

إنّ ما تفاخر به تونس بين الأمم هو تأصّل تقاليد الدولة في ربوعها منذ عهد جمهورية قرطاج، أهمّ منابع الديمقراطية في العالم القديم ومصدر واحد من أعرق الدساتير المكتوبة في التاريخ. وقد شهدت البلاد لا سيّما منذ القرن الثامن عشر أشكالا من التنظيم السياسي والإداري مثّلت لبنات صلبة لقيام الدولة الوطنية الحديثة بعد الاستقلال.

وإن صمدت الدولة بعد 14 جانفي 2011 أمام رياح الفوضى العاتية واستمرّت مؤسّساتها ومرافقها في العمل فمردّ ذلك متانة دعائمها وتماسك بنيانها على الرغم من كلّ ما يعاب على منظومة الحكم السابقة. ولعلّ العبرة التي نستخلصها ممّا حدث أنّه قد تندلع ثورة أو انتفاضة أو أزمة سياسية وينهار النظام برمّته ويقصى الحكّام من السلطة وتندثر الأحزاب ويتغيّر نظام الحكم ويُستبدل منوال التنمية لكنّ الدولة تظلّ قائمة لا تزول متى كانـــت منيعة مهابة. غيـــر أنّ ما أصاب الدولة منذ ذلك الحين من وهن لم تتعاف منه بعد يحمل على التأمّل في أقوم المسالك لتقوية صرحها وحمايتها من مخاطر التصدّع والتفكّك، فذلك في تقديرنا من أوكد الأولويات في الوقت الذي تقدم فيه البلاد على مرحلة جديدة من مسار انتقالها الديمقراطي، من خلال جهد يومي مشترك فالدولة ، كما يقول الكسيس دي توكفيل تتأسّس «باطراد كلّ يوم بجـانب كلّ فرد وحوله وفوقه لتساعده وتنصحه وتضغط عليه».

ومن أجل ذلك فالدولة ، من حيث هي مقوّم أساسي من مقوّمات الاستقرار والتعايش بين الأفراد وإدارة الاختلاف في نظام ديمقراطي، في حاجة دائما إلى قضاء مستقلّ عادل وناجز، فالعدل هو الذي يصنع الدولة وليس العكس وإلى قدرات اقتصادية ومالية تدفع عجلة النمّو استجابة لتطلّعات الجميع إلى حياة أفضل، وكذلك إلى منظومة أمنية وعسكرية تحمي المؤسّسات والأفراد وتصون السيادة الوطنية. كما أنّ الدولة تحتاج إلى منظومة اجتماعية توفّر الخدمات بالجودة المطلوبة وتضمن الكرامة للأفراد وتحقّق المساواة بينهم، فضلا عن إدارة عصرية متحرّرة من قيود البيروقراطية ودبلوماسية نشيطة وفاعلة تحمي المصالح الوطنية لأنّ المحكّ الحقيقيّ لصلابة أيّة دولة يكمن في علاقاتها مع الخارج.

وغنيّ عن البيان أنّ ما يحمي الدولة ويؤمّن ديمومتها، علاوة على الدستور، هو مؤسّساتها التي يتعيّن أن يكتمل مسار بنائها بالإسراع بتركيز المحكمة الدستورية بالخصوص وكذلك مكوّنات المجتمع المدني ووسائل الإعلام والاتّصال التي تعدّ سلطات مضادّة تعبّر عن الضمير الوطني وتضغط في سبيل الحيلولة دون وقوع زيغ أو انحراف في إدارة الشأن العامّ.

دولة قويّة عادلة، محكومة بالعقل، تكون فوق الأحزاب والإيديولوجيات وبمنأى عن منطق الحسابات السياسية والفئويّة الضيّقة ذلك ما تحتاجه تونس اليوم. إنّها قضية وجود ومصير. ألم يقل بول فاليري : «إذا كانت الدولة قويّة فإنّها تستحقّنا وإذا كانت ضعيفة فإنّنا نندثر»؟

ع.ه

أوّل SERVICE CLIENT عالWHATSAPP

Yaaaaaa Ooredoo ????? 😀😮❤️

Eyyyyyyyyyyyyy 😍😍❤️

22 11 11 11

ooredoo
عيش الأنترنات

الفهرس

الافتتاحيّة
• الدولة القويّة العادلة قضية وجود ومصير 3
عبد الحفيظ الهرقـام

شؤون وطنيّة
• لماذا اختـار التـونسيون قيس سعيّـد؟ 10
عامر بوعزّة
• أيّ دور لـنبيـل القروي بعد هزيمـته في الانـتـخابات الـرئاسيّة ؟ 14
حنان زبيس
• انتخـابات 2019 : الأجنحة المتكـسّرة 18
رشيد خشانة

رأي
• كيـفما تـكـونـوا يُـوَلّـى عليـكـم، ملاحظات أوليّة 20
عبد العزيز قاسم

شؤون وطنيّة
• بعد هزيمتهم في الانتخابات التّشريعيّة والرئاسيّة، 24
اليساريّون في موازنة الشعب
العروسي عامري

مجتمع
• التّقاعد والمتقاعدون 34
منجي الزّيدي
• يوميّات مواطن عيّاش: ...الغول والجنيّة...والكاميرا الخفيّة 36
عادل الأحمر

شؤون عربيّة
• وهل من داع إلى إبرام اتفاقيات عدم اعتداء بين دول الخليج وبين إسرائيل؟ 38
محمّد إبراهيم الحصايري

شؤون دوليّة
• عودة روسيا إلى المتوسّط ونهاية القطبيّة الأحاديّة 42
محمّد لسيـــر

من التّاريخ
• كيف تعاملت الدولة التونسية مع ذوي الاحتياجات الخصوصيّة 49
من منتصف القرن التاسع عشر إلى ثمانينات القرن العشرين؟
د. عادل بن يوسف

ثقافة وفنون
• «التّمييز الإيجابي» كلمة حـقّ دستوريّة أريد بها «لامركزيّة» مسرحيّة 54
فوزيّة بلحاج المزي
• «فتريّة» : كـوميديـا سـوداء تحاكي واقعا تراجيديا 56
علي اللواتي

أعلام تونسيّون
• الجنرال حـسين : مـن مملوك صغير إلى رجـل دولـة كبير 59
د. الحبيب الدريدي

إصدارات
• المعادلة التونسية كيـف نصنع المستقبل ؟ رؤية متكاملة 2030/ 20 64
• «الصّمت في النّصوص المقدّسة» 70

بطاقة
• الحيّ والميّت 76
الصحبي الوهايبي

متوفرّة على رحـلات
الخطوط التونسية TUNISAIR

ليدرز
مجلّة شهريّة تصدر في منتصف كلّ شهر

المدير المسؤول
توفيق الحبيّب

مستشار التّحرير
الهادي الباهي

مدير التّحرير
عبد الحفيظ الهرقام

هيئة التّحرير
احميده النّيفر • رشيد خشانة • محمّد العزيز ابن عاشور • عبد اللطيف الفراتي • محمّد ابراهيم الحصايري • عزالدين المدني • محمّد حسين فنطر • منى كريم الدريدي • عادل الأحمر • منذر بالضياف • الصحبي الوهايبي • عامر بوعزّة • الحبيب الدريدي• توفيق جابر • عادل كمّون• عـادل كعنيش • علي اللواتي • يوسف قدية • عـبد الدايم الصـماري • خالد الشّابي • نجاح الخرّاز

التصور والإخراج
أحـمـد الشـارني

موقع الواب
رايد بوعزيز

صـــور
ليـدرز، محمّد الحامّي، رئاسة الجمهوريّة، أمين الفريقي، حقوق محفوظة

مراجعة النّصوص
احميدة الحيدري

فيديو
مروى مقني

التسويق والاتصال
محمّد الطيّب الحبيّب • بوران النّيفر

الإدارة والتوزيع والاشتراكات
فيصل المجّادي • حمدي المزوغي

الإسناد
شوقي الرياحي • الحبيب العبّاسي • لمياء عليّات • ليلى منيف

طباعة
ساميباكت

PR Factory
مجمّع النّور، مدينة العلوم، صندوق بريد 200، حي المهرجان 1082، تونس، الهاتف: 111 232 71 - فاكس: 333 750 71
www.leaders.com.tn
marketing@leaders.com.tn
redaction@leaders.com.tn

قمّة روسيا - أفريقيا بسوتشي

في سعي إلى دعم حضورها في أفريقيا وإقامة شراكة مع بلدان القارّة على غرار بلدان سبقتها في هذا المضمار كاليابان والصين والهند وتركيا تنظم روسيا أوّل قمّة تجمعها بهذا الفضاء الهامّ اقتصاديا وجيواستراتيجيا يومي 24 و25 أكتوبر 2019، وذلك بمدينة سوتشي السياحية الواقعة على ساحل البحر الأسود.

ويحضر القمّة رؤساء دول وحكومات البلدان الأفريقيّة أو ممثلوهم ومن المرجّح أن يقود الوفد التونسي في أعمالها وزير الشؤون الخارجية خميّس الجهيناوي.
وكان الكرملين قد بيّن أنّ الهدف من هذه القمّة هو تنمية العلاقات التي تربط روسيا ببلدان القارّة في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية باعتبارها أرضية للحوار حول التحديّات الراهنة في العالم والوسائل الكفيلة بتحقيق الاستقرار الإقليمي.

وسيصدر عن القمّة إعلان سياسي ممضى من قبل الدول المشاركة يرسم آفاق العلاقات والتعاون بين روسيا ودول القارّة.

وسيقام على هامش القمّة منتدى يضمّ المسؤولين والفاعلين الاقتصاديين يُؤمَّل أن يفضي إلى إبرام اتفاقيات هامّة في مجالات التجارة والاقتصاد والاستثمار.

هشام الربيعي مدير عام بنك الإسكان الجديد

خبرة أكثر من ثلاثة عقود من العمل البنكي في مراتب عليا شملت أهمّ الوظائف المصرفية من خدمة الحرفاء التجارية إلى إسناد القروض وتحليل المخاطر بوّأت هشام الربيعي لاختياره مديرا عاما جديدا لبنك الإسكان، إثر مناظرة أطلقتها وزارة المالية وصادق على نتائجها البنك المركزي.
هذه التجربة الثرية اكتسبها هشام الربيعي في الاتحاد الدولي للبنوك الشركة العامة، بداية من مطلع التسعينات بعد حصوله على شهادة الأستاذية في العلوم الاقتصادية (1988) وإثرائها بماجستير في القانون التجاري الدولي (1991) ثمّ بماجستير التقنيات البنكية (باريس 1994).
وقد تدرّج هشام الربيعي في سلّم المهّام والوظائف حتّى أصبح في سنة 2015 مساعد المدير العام، مكلّفا بقطب المخاطر لمختلف الأسواق ومشرفا على مشروع إقرار المواصفات البنكية الدولية الحديثة.
وقد حرص هشام الربيعي منذ تسلّم مهامه الجديدة عل رأس بنك الإسكان ومجموعة الشركات المتفرعة عنها على التواصل مباشرة مع كافة العاملين في مختلف الوحدات والأقسام والاجتماع بالمديرين الجهويّين وأعضائهم والإصغاء إليهم، فضلا عن الاتصال بحرفاء البنك.

كتاب لفرج شوشان عن الرسّام نجيب بلخوجة

يعكف حاليا الناقد الأدبي والمنتج الإذاعي والتلفزي فرج شوشان على تأليف كتاب في الفنّ الحديث عن أحد روّاد الرسم في تونس والعالم العربي نجيب بلخوجة (1933 - 2007).
ومن خلال هذا المؤلّف يسعى الأستاذ فرج شوشان الذي عاشر الفقيد وتابع مسيرته الفنيّة إلى إبراز موقعه المتقدّم في الحركة التشكيلية العربية الحديثة والطريقة التي خاض بها مغامرة الرسم التجريدي انطلاقا من التراث العربي.

Afin de mieux sécuriser vos paiements par carte bancaire sur Internet, La Banque de Tunisie met en place un système de sécurité basé sur le protocole 3D SECURE. Ce système consiste à authentifier toute transaction à l'aide d'un mot de passe dynamique à usage unique.
Il vous sera envoyé instantanément par SMS sur votre GSM pour la validation de l'opération.
En cas de changement de votre numéro de téléphone, nous vous invitons à contacter votre agence

www.bt.com.tn

جـديد المنظّمـة العـربية لتكنولوجيات الاتصال والمعلـومات

بعد إعادة انتخابه أمينا عامًّا للمنظّمة العربية لتكنولوجيات الاتصال والمعلومات يوم 23 سبتمبر 2019 بإجماع الدول الأعضاء لمدّة نيابية ثانية (2020 - 2023) شرع السيد محمّد بن عمر (تونس) في وضع تصوّرات لبرامج عمل هذه المنظمة خلال الأربعة أعوام القادمة.

وحسب ما أفاد به السيد محمّد بن عمر ليدرز، سيكون منطلق هذه البرامج الرؤية الاستراتيجية للمنظمة والتي تتمثّل في «مجتمع رقمي متناغم ، يرتكز على الابتكار والتجديد التكنولوجي ويدعم التكامل الإقليمي العربي ويساهم بفاعلية في نموّ الاقتصاد الرقمي العالمي المستدام».

وسيتمّ في هذا المجال تعزيز التعاون مع مختلف الأطراف المعنية الإقليمية والدولية مع التركيز على مواصلة الإصلاحات التنظيمية والهيكلية للمنظمة والعمل على رسم سياسات ومواقف مرجعية للمنطقة العربية في قطاع تكنولوجيات الاتصال والمعلومات، دعما لتموقع المنظمة إقليميا ودوّليا.

ومن أجل تفعيل الرؤية الاستراتيجية ستواصل المنظمة جهودها في إطار خطّة عمل مبنية على أربعة محاور وهي التحوّلات الرقمية، والشمول الرقمي والثقة الرقمية وأخيرا التجديد الرقمي. ويتمّ إنجاز هذه الخطّة من خلال مجموعة من المشاريع من أهمّها :

الشبكة العربية الإفريقية للثقة الرقمية: وهي شبكة متعدّدة الأطراف تعمل على إرساء إطار قانوني موحّد للمعاملات والمبادلات الإلكترونية في المنطقتين العربية والأفريقية وفقا لخصوصياتها مفتوحة لمختلف الأطراف المعنية بهدف الوصول إلى الاعتراف المتبادل في مجال الإمضاءالالكتروني والمصادقة الإلكترونية بين مختلف بلدان المنطقتين.

الزراعة الذكية من أجل تنمية مستدامة: يهدف هذا المشروع إلى تمكين المزارعين والعاملين في هذا المجال من استغلال تكنولوجيات الاتصال والمعلومات للرفع من المنتوج والتصرّف الأمثل في الموارد وتحسين الأداء في إطار استراتيجية إقليمية لتأمين الغذاء من خلال تنمية زراعية مستدامة.

مركز الامتياز العربي الصيني للملاحة بالأقمار الصناعية: وقد أحدث هذا المركز في إطار التعاون العربي الصيني بهدف توفير منصّة مفتوحة للتعاون في مجال الملاحة باستعمال الأقمار الصناعية يتمّ من خلالها اكتساب المهارات اللازمة في المجال .

برنامج الشمول المالي : وفي هذا الإطار تمّ إحداث المركز الإقليمي للعملة الائتمانية الرقمية بتونس بالتعاون مع المعهد الصيني للعملة الائتمانية الرقمية ومخبر ستانفورد للتقنيات المالية المتقدّمة بأمريكا. وسيقوم هذا المركز بعرض بعض التجارب وتنظيم دورات تدريبية في مجال العملة الرقمية وإطلاق بعض المشاريع النموذجية بالمنطقة العربية.

النظر في الاستعدادات للقمة الفرنكوفونية بتـونـس فـي النـدوة الوزاريـة بمـوناكو

36e Conférence ministérielle de la Francophonie
Monaco 2019

سيكون من بين المواضيع المدرجة بجدول أعمال الدورة السادسة والثلاثين للندوة الوزارية للفرنكوفونية التي ستلتئم بإمارة موناكو يومي 30 و31 أكتوبر 2019 النظر في تقدّم الاستعدادات لعقد الدورة الثامنة عشرة للقمّة الفرنكوفونية بتونس في سنة 2020.

وكانت الدورة السادسة عشرة لقمّة المنظمة الدولية للفرنكوفونية المنعقدة بعاصمة مدغشقر أنتاناناريفو قد رحّبت بالإجماع بالمقترح الذي تقدّمت به تونس بمبادرة من الرئيس الراحل الباجي قائد السبسي لتنظيم قمّة 2020 التي تتزامن مع الاحتفال بخمسينية المنظّمة التي كان الزعيم الحبيب بورقيبة أحد مؤسّسيها ووقّع ميثاق إحداثها يوم 20 مارس 1970.

وقد اختير للدورة السادسة والثلاثين للندوة الوزارية شعار :»مصالحة الإنسانية وكوكب الأرض : الآفاق في الفضاء الفرنكوفوني عشية خمسينية المنظمة الدولية للفرنكوفونية» تأكيدا لتوجّه المنظّمة نحو الخوض أكثر في قضايا الاقتصاد والبيئة، علاوة على مسألة الثقافة الفرنكوفونية ومكانة اللغة الفرنسية اللتين شكّلتا حجر أساس المنظّمة عند انبعاثها.

تونس في المعرض الدولي لتكنولوجيا البيئة «بريميني»

تشارك تونس في المعرض الدولي لتكنولوجيا البيئة ECOMONDO 2019 الذي ينتظم بمدينة ريميني الإيطالية من 5 إلى 8 نوفمبر القادم بوفد يضمّ إطارات من مركز تونس الدولي لتكنولوجيا البيئة ووفود عن مؤسّسات تونسية راغبة في حيازة تكنولوجيات بيئية وعدد من الباعثين الشبّان شاركوا في برامج نظّمها المركز خاصّة بإنشاء مؤسّسات تعمل في هذا المجال.
ويشهد معرض ريميني مشاركة الفاعلين في قطاع الاقتصاد الدائري في حوض البحر الأبيض المتوسّط المهتمّين بالتجديد التكنولوجي والصناعي ورسكلة النفايات والطاقة وكذلك بمختلف المسائل المتّصلة بالتنمية المستدامة.
وجدير بالملاحظة أنّ مركز تونس الدولي لتكنولوجيا البيئة المحدث في جوان 1996 والراجع بالنظر إلى وزارة الشؤون المحلية والبيئية يعنى بتطوير القدرات في تونس والوطن العربي ومنطقة البحر الأبيض المتوسط في مجال حماية البيئة والتصرف المستدام في الموارد الطبيعية وذلك من خلال تقديم المساندة الفنية للمؤسّسات قصد إرساء منظومات التصرف البيئي ومساعدتها على إحكام التصرّف في إفرازاتها الصناعية طبقا للمواصفات والقوانين الجاري بها العمل وتعزيز القدرات البشرية والمؤسّساتية ومزيد دفعها في مجال الحفاظ على البيئة وتحويل التكنولوجيات وتطويرها مع ملاءمتها الواقع الوطني والعمل على تشجيع التكنولوجيات النظيفة.

ثورة تكنولوجية في البريد التونسي

«البريد التونسي يتجدّد» هو شعار احتفال تونس باليوم العالمي للبريد الذي أشرف عليه أنور معروف وزير تكنولوجيا الاتصال والاقتصاد الرقمي.وبهذه المناسبة أعلن عن إنشاء «البنك البريدي» بعد مصادقة مجلس إدارة ديوان البريد التونسي على بعث مؤسّسة خفية الاسم استعدادا لإحداث هذا البنك الذي جاء استجابة لمقترح بنك الشراكة الإفريقي (كاب بنك). وقد تمّ لهذا الغرض إحداث وحدة أعمال صلب ديوان البريد التونسي نظرت في هذا المشروع في ظرف قياسي (ستّة أشهر) وهي وحدة للتصرّف وفق الأهداف. ومن المنتظر عرض المشروع على مجلس وزاري مضيّق لإقرار جوانبه الإجرائية.
وأوضح جوهر الفرجاوي الرئيس المدير العام لديوان البريد التونسي في حديث خصّ به ليدرز أنّ هذا البنك الرقمي تصوّر جديد يعمل البريد التونسي على تجسيمه وأنّ دوره سيكون مكمّلا لدور البنوك المحلية والهدف منه الإدماج المالي لفئة تمثّل 39 بالمائة من مجمل سكّان البلاد لم تتوفّر لها فرص هذا الإدماج خلافا لبقية السكّان الذين يستفيدون من خدمات مؤسّسات بنكيّة وماليّة قريبة منهم جغرافيا. وسيستند هذا البنك الرقمي الذي سيمتلك البريد التونسي 80 بالمائة من رأس ماله إلى شبكة تعدّ قرابة 1100 مكتب بريد موزّعة على كامل تراب البلاد، إضافة إلى 67 مركز بريد متنقّل يجوب مختلف المناطق النائية داخل البلاد. وسيستثمر البنك أساسا في مجال التمويل الأصغر (méso-finance).
وبيّن جوهر الفرجاوي أنّه سيُنطلق في إنجاز هذا المشروع قبل نهاية سنة 2019 بالاستعانة ببنك أعمال رائد وقوي يقوم بعمليّة التأطير للوصول إلى مرحلة الحصول على الترخيص، مشيرا إلى أنّ الجزء الأوّل من المشروع يشمل جميع الخدمات البريدية باستثناء منح القروض الذي يقتضي اتّباع إجراءات معيّنة.
وبخصوص رقمنة البريد التونسي في إطار المنصّة D17 أكّد جوهر الفرجاوي أنّ الرقمنة خيار جوهري يضمن الاستغلال الأقصى للمصاريف، فلسفته تجديد مهنة البريد بتطويع الخدمات المقدّمة الحرفاء من مؤسّسات وأفراد حسب مقتضيات العصر خاصّة وأنّ التقدم التكنولوجي يسمح بتقديم خدمات ذات جودة عالية وبابتكار خدمات جديدة.
وأضاف أنّ البريد التونسي الذي يعدّ من المؤسّسات الرائدة في العالم يسعى إلى ألاّ يكون المواطن في قطيعة مع الخدمات البريدية، باعتبار البريد التونسي أحد أذرعة الدولة في المجالين الاقتصادي والاجتماعي ووسيلة من وسائل الإدماج في منظومة الإنتاج الوطني.
وذكر جوهر الفرجاوي أنّ منصّة D17 تتميّز بوثوقية وسلامة معلوماتية عالية إذ هي حاصلة في هذا الخصوص على شهادة Passecare المعترف بها عالميّا، ملاحظا أنّ هذه المنصّة التي تتيح خلق ديناميكية محليّة من شأنها دعم الديناميكية على المستوى الوطني تشمل كلّ خدمات البريد من تسجيل التلاميذ في المدارس والمعاهد وشحن الهواتف وتسديد أقساط القروض الصغرى وتحويل الأموال بسرعة فائقة وشراء البضائع والخدمات بواسطة البطاقة الذكية.
وأفاد أنّ هذه البطاقة تسمح لمائتين وخمسين ألف عائلة معوزة بسحب المنح الاجتماعية واستعمالها في الدفع الالكتروني دون التنقّل إلى مكاتب البريد.
ومن بين مظاهر التجديد في عمل ديوان البريد التونسي ذكر جوهر الفرجاني شروع الديوان في تنفيذ تطبيقة جديدة وهي تطبيقة DIGI Facteur التي تحدّد مسار ساعي البريد بطريقة ديناميكية وتضمن رفع درجة الأداء نحو الأقصى في علاقة بالنفقات وهو ما سيسمح بتقديم خدمة أكثر نجاعة وبجودة أعلى . وأكّد أنّ استخدام هذه التطبيقة سيمكّن من متابعة توزيع الرسائل والطرود من الانطلاق إلى الوصول وهو ما سيشكّل ثورة في المجال اللوجيستي، معربا عن انفتاح البريد التونسي على كافة الشركاء والمؤسسات الذين بإمكانهم تحقيق فائدة من خلال التعامل معه في هذا المجال.

لماذا اختار التونسيون قيس سعيّد؟

• بقلم عامر بوعزّة

بفوز قيس سعيّد في الانتخابات الرئاسية تكون تونس قد حقّقت قفزة عملاقة في سياق الانتقال الديمقراطي، لا يتعلّق الأمر فقط بالتداول السّلمي على السلطة، أو بنزاهة الانتخابات وشفافيتها، بل بالفرص التي توفّرها الديمقراطية لتحقيق الإرادة الشعبية وفرض كلمة الجمهور. فالمرشّح الذي حصد أعلى نسبة أصوات في هذه الانتخابات لا ينتمي إلى أيّ حزب من الأحزاب ولا ينحدر من عائلة إيديولوجية بعينها «في الظاهر» ولا تُعرف له مسيرة سياسية يمكن أن تمنحه «شرعية نضالية» لطالما اعتُبرت شرطَ وجودٍ في ساحة السّلطة.

يعزّز

إصرارُ قيس سعيّد على استقلاليته الصّورةَ التي يريد أن يحتفظ بها لنفسه، صورةَ رجل عادي من عامّة الشعب لم يعوّل إلاّ على صناديق الاقتراع للوصول إلى قصر قرطاج. وتعكس هذه الصورةُ نصيبا لا يستهان به من الحقيقة، إذا تجاهلنا كلّ ما يقال عن دور الخوارزميات في صنع الظاهرة وصدّقنا الديمقراطية وحدها. في النهاية لم تعد رئاسة الجمهورية حكرا على فئة دون أخرى من فئات الشعب وطبقاته كما كانت من قبل، ولم يعد أيّ صوت يعلو على صوت الشرعية الانتخابية.

القصّة تقوم على إغواء سردي، فهو أستاذ جامعيّ متقاعد، لا يعرفه الكثيرون إلاّ ضيفا على التلفزيون، يتحدّث في القانون الدستوري، أو يعلّق على الشأن العام بهدوء ورصانة. ولمّا كانت سفينة الدولة تتقاذفها الأمواج العنيفة والرياح العاتية التي تكاد تمزّق نسيج المجتمع، كان يتكلّم بصوت جهوري ورطانة نادرة تلفت أسماع الأجيال الجديدة التي لا تعرف إذاعة صوت العرب في عزّ أمجادها. يتكلّم قيس سعيّد دائما كما الأستاذ في قاعة المحاضرة، بصورة مختلفة عن السائد، ونغمة ناشزة عن الزعيق الذي تقتات منه برامج الحوار السياسي، وهكذا بدأت تتشكّل شيئا فشيئا صورة «الرجل المختلف» الذي يمثّل الحكمة والتعالي عن الانتماء الحزبي وعن الصراعات المصلحية الضيقة، ثم تتالت أفكاره أثناء الحملة الانتخابية عن الديمقراطية التشاركية وعن دور الشعب في التنمية المحلية، عن فلسطين والصراع العربي الصهيوني فتشكّلت صورة «الرجل النظيف» الذي يمثّل حالة استقامة فريدة من نوعها ويحمل أفكارا ومبادئ وقيما يُظنّ دائما أنّها لم تعد ملائمة لعصر الثقافة المعولمة والليبرالية المتوحشة حيث يعتبر الفساد وجهة نظر وأسلوب حياة ونمط تفكير، فأضحى شبيها بأبي العلاء البشري في الدراما الاجتماعية التي قدّم فيها أسامة أنور عكاشة نسخة عربية حديثة من شخصية «دون كيشوت».

يفسّر قيس سعيّد كلّ شيء بشعار «الشّعب يريد»، ويَعِدُ الشّباب الملتفّ حوله والمنبهر به والذي يعتقد أنّه يحمل في حقيبته حلولا سحرية لكلّ معضلات البلاد، بأنّه سيقلب الهرم السياسي رأسا على عقب، ويعفُّ عند المغنم، وأنّ لا حاجة له بمباهج الرئاسة، فيمكنه حتّى البقاء في بيته كأيّ موظف عادي من موظفي الدولة والسير على قدميه في الشارع حتّى وهو رئيس. وتسهم هذه الصورة الملائكية في إلهاب المخيّلة الشعبية مجدّدا بفكرة الثورة على النمط وتحطيم الأنموذج، وتستجيب أيضا لفكرة توزيع البؤس بشكل عادل عندما يستحيل تعميم الرفاه!

ويقول قيس سعيّد عن تجربته: إنّه برفعه شعارَ «الشعب يريد» يعود بالثورة إلى نقطة البداية، ويسترسل في وصف ما يسميه «النقاء الثوري» متمثّلا بما أبداه الشعب التونسي فجر الخامس عشر من جانفي العام 2011 من قدرة على تسيير الشأن العام وانضباط تلقائي للقانون ووعي بأولوية المصلحة العامة

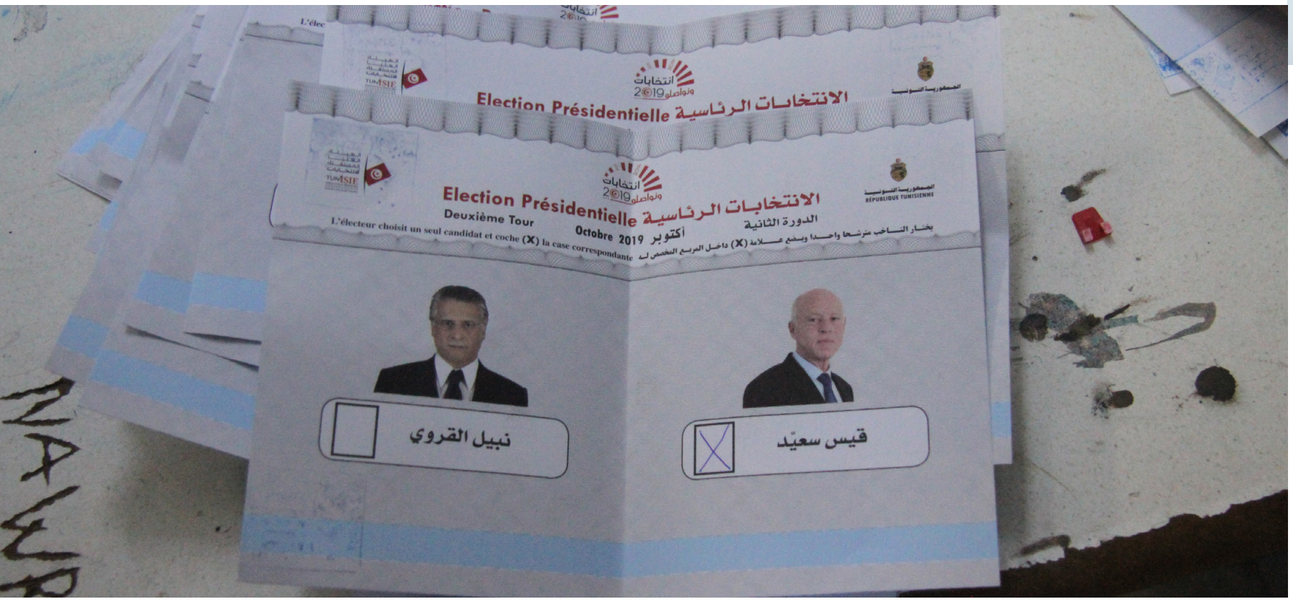

وحرص على استمرار الدولة. وهي مبّررات كافية من وجهة نظره للوثوق في قدرة الشعب على تسيير نفسه بنفسه وتحميله أعباء الحكم في تنظيم مجالسي يصعد من المحلّي إلى الجهوي ثم الوطني بشكل تنتهي معه الحاجة إلى الأحزاب السياسية ويزول كلّ القرف الذي خلّفته للناخبين خلال ثماني سنوات من التجربة الديمقراطية.

لكنّ مقولة «الإرادة الشعبية» حين تغادر سياقها الأصلي -سياق الفوضى الثورية- تتّخذ لها مدلولا آخر: قبول جزء من الشعب بإرادة جزء آخر تفوّق عليه انتخابيا! فإلى أيّ مدى يمكن أن يعبّر مشروع قيس سعيد عن إرادة الشعب والحال أنّ العوامل التي أفضت إلى فوزه بنسبة عالية من الأصوات في الجولة الثانية من الانتخابات الرئاسية قد لا تكون مرتبطة ضرورة بهذا المشروع بل هي إجابة حاسمة عن السؤال الكبير الذي هيمن على المراحل الأخيرة من السباق الرئاسي: هل أنت مع الفساد أم ضدّه؟

لفهم العلاقة المعقّدة بين الجزء والكلّ في إطار «الرؤية الثورية» نقرأ ما كتبه رضا شهاب المكّي الذي يحتلّ موقع «المنظّر» في مشروع قيس سعيّد. وفي مقال نشره موقع «الحوار المتمدّن» بعنوان «هل تمثّل فكرة - الكتلة التاريخية - مخرجا لتعطّل الثورة التونسية؟» العام 2015 صاغ الكاتب المعروف في الأوساط اليسارية باسم «لينين» «دستورا صغيرا» يتضمّن ثلاثين نقطة تتدرّج من التوصيف النوعي للأزمة السياسية والاجتماعية التي تعيشها البلاد حتّى تصل إلى فكرة الحكم المجالسي الصاعد من المحلّي إلى المركزي وفي هذا المقال المرجعي نعثر على أهمّ المقولات التي يستخدمها قيس سعيّد باستمرار في تفسير مشروعه.

ينطلق التوصيف من أنّ مجتمع ما بعد الثورة لم يتخلّص من هيمنة فكر الجزء على الكلّ الذي يتشكّل داخله. حيث يحافظ كلّ جزء على أحقيته وأولويته وشرعيته التاريخية وهذا ما أدّى إلى التباين في تحديد أولويات المرحلة، بين مفاهيم مختلفة على غرار «الوحدة الوطنية» و«عودة الاستقرار» و«الحرية السياسية» و«الخوف من عودة الاستبداد»، وأدّى تنافر المصالح إلى استحالة تشكّل وطني واسع قادر على الفعل والانتقال النوعي الى مرحلة جديدة تستوعب استحقاقات الثورة وشعاراتها. ولذلك يعتبر المكّي أنّ النخب السياسية ألزمت الطبقات الأكثر تضرّرا من النظام القديم بسقف مطالب فئات من البورجوازية الصغيرة أقلّ تضرّرا، حيث اتفقت على تحقيق «الانتقال الديمقراطي». ولذلك يقترح مشروع «الانتقال الثوري» نحو مجتمع ودولة جديدين بعد أن بدأ المجتمع القديم ودولته القديمة يفقدان شروط استمرارهما التاريخي، هذا المشروع لن يكون في حاجة إلى جدل الهوية، وجدل الأحزاب اليمينية واليسارية والطليعية والانتخابية لأن هذا الجدل لا يعكس الا مصالح ذاتية متقوقعة.

هذا التصوّر اعتمده قيس سعيّد حرفيا، والنقطة الثلاثون التي ينتهي إليها هي التعريف الاصطلاحي لشعار «الشعب يريد» إذ يقول: «إنّ إعادة التشكّل السياسي للدولة من الأسفل نحو الأعلى لكفيل لوحده بضمان الوجود الفعلي للشعب في سلطات القرار أثناء صياغة السياسات وأثناء ممارسة تلك السياسات».

هل يعني هذا المشروع أنّ قيس سعيّد ينتمي فكريا إلى أقصى اليسار العلماني ويتبنّى رؤية ماركسية متطرفة؟ ففكرة إعادة التشكيل السياسي للدولة تنطلق من أنّ المجتمع الذي ننتمي إليه الآن هو «مجتمع بورجوازي لا يمثّل فيه الفرد في علاقته بالآخرين إلاّ وسيلة لتحقيق مصلحة خاصّة»، ويريد هذا المشروع الانتقال بالفئات الأكثر تضرّرا في هذا المجتمع إلى موقع محوري عبر تخليص الدولة من مركزية الحكم والقرار وإعادة بنائها على قاعدة تقاسم السلطات الأصلية بين المحليات والجهات والمركز، ما يُمكّن من القطع مع تسلّط النخب. في هذا المستوى ينزاح قيس سعيّد قليلا عن موقع «زعيم الصفّ الثوري» ليقترب من موقع المصلح السياسي تحت شعار «ليطمئن الجميع»، فمشروعه لن يلغي اقتصاد السوق، بل سيتصدّى للمضاربة والاحتكار والتهريب والتهرّب (مكافحة الفساد)، وفي نفس الوقت لن يقبل بهيمنة اقتصاد السوق وحده وسيعمل على تطوير «أنماط جديدة لإنتاج الثروة وتخزينها وتوزيعها واستهلاكها تنبني على التعاقد والتضامن والتشارك والتقاسم». لكن هذا المشروع منذ منطلقاته النظرية ينطوي على قدر من العنف لا يتحمّله السّياق المحلّي ففي خاتمة نصّ رضا المكي وتعليقا على التمثيلية النيابية (كما هو الوضع راهنا) يقول إنّ الشعب المحكوم بالوكالة لا يقبل بأيّ نوع من أنواع التضحية لفقدانه الثقة في الذين أوكلوا لأنفسهم تمثيله، وهذا الشعب «إذا فرض عليه القبول بالتضحية فسيسقط ضحايا من هنا وهناك».

قدّم قيس سعيّد مشروعه حول الحكم المحلّي والديمقراطية التشاركية في سياق انتخابي مصرّا حتى اللحظات الأخيرة على استخدام عبارة «تفسير» في وصف ما يقوم به أنصاره ومريدوه الذين يمثّلون في الغالب الشباب المثقّف والفئات المهمّشة والجهات المحرومة، وهذه الصيغة تضفي على النظرية طابع «الحلّ السحري» وتعزّز فكرة «المخلّص» وتجعلها خارج مدار النقد والتنسيب، ما قد يبرّر العنف اللفظي الذي ضجّت به صفحات الفايسبوك انتصارا لقيس سعيّد ما جعله يتنصّل علانية من أيّ ارتباط بفضاءات التواصل الاجتماعي، كما قد تبرّر الشكوك الكبيرة حول دور الغرف الخلفية المظلمة التي قد تكون المتحكّم الفعلي في إرادة الناخبين وفي صنع الظاهرة وابتكار رمز على مقاس المرحلة ينـــاسب التوازنات الحزبية الجديدة ولا يهدّدها فعليا.

يعتبر البعض مقاربة الحكم المحلّي التي يتبنّاها قيس سعيد «مقاربة قانونية تفتقر إلى البعد السوسيولوجي» (مقال العروسي العمري في الموقع الالكتروني ليدرز: هل لقيس سعيّد برنامج؟) ويمكن معاينة هذا بوضوح في «المسكوت عنه» حيث تتحدّث النظرية عن تمكين الشباب في الجهات الداخلية من الأدوات القانونية لممارسة الحكم المحلي وتخطيط التصورات التنموية الملائمة لواقعه ورفعها تصاعديا إلى المركز عبر مجالس جهوية وربما إقليمية، لكن لا تتحدث عن مصادر الثروة وعن تمويل الخطط، وهل للحكم المحلي في صيغته المقترحة علاقة بالمطالب التي رُفعت سابقا حول أحقيّة الجهات باحتكار ثرواتها الطبيعية؟

ويتقاطع هذا المسكوت عنه مع الأفكار التي ترفعها قائمات انتخابية يمينية عن الثروات المنهوبة والسيادة الوطنية واستقلالية القرار السياسي والاقتصادي والتي تعزّز بشكل ما «الثقافة الريعية». كما لا يتحدّث المشروع عن السلطة التنفيذية وعمّا إذا كانت المجالس المحلية استشارية أم سلطة قرار، بما يفسح المجال لمنتقدي المشروع باستحضار نموذج اللجان الشعبية في الجماهيرية العربية الليبية تحت حكم العقيد معمر القذافي، وهو ما نفاه قيس سعيّد دون أن يقدم إيضاحات حول تصوره لموقع الإدارة السياسية بشكلها الراهن في نظام الحكم المجالسي.

كما إنّ عودة قيس سعيّد أثناء تفسيره مشروع الحكم المحلّي إلى اللحظات الأولى من الثورة تبدو انتقائية لا تريد أن ترى إلاّ الصورة الملائكية الساذجة لشعب «احترم من تلقاء نفسه وفي غياب الدولة إشارات المرور ووقف بانضباط في الطوابير لاقتناء حاجياته من المواد الغذائية» وهذه الصورة صنعها الإعلام لتبرير شعار «ثورة الياسمين» ونفي شبهة «الفوضى الخلاّقة» عن «الربيع العربي» وهو في خطواته الأولى. بينما يعرف الجميع أنّ تلك اللحظة كانت أيضا لحظة مليئة بالعدوانية وأنّ المجتمع التونسي يعاني اليوم من ارتفاع منسوب العنف وتقلّص مساحة الأمان، كما إنّ نظرية الحكم التشاركي المحلّي عبر مجالس قاعدية منتخبـــة تسكـــت عن مسألة التماسك الاجتماعي وعودة الصراعات العـــروشية والجهـــوية في غياب الواعز الإيـــديـــولوجي والانتماء الحزبي.

لكنّ السباق الرئاسي في مراحله الأخيرة، وخصوصا إثر المناظرة التاريخية التي جمعت بين المرشّحين، أفضت إلى تراجع مكانة المشروع السياسي في خطاب قيس سعيّد وتقدّم المشروع القيمي، فالعامل الحاسم في اختياره هو ما بدا في خطابه من مبدئية وثبات أخلاقي أمّا أسلوبه في ممارسة وظيفة رئيس الجمهورية فيتّسم بما يمكن تسميته بخطاب الثقة والطمأنينة الذي تضمنه أول تصريح له بعد صدور النتائج الأولية، حيث جدّد التأكيد على التزامه التام بالحفاظ على الوحدة الوطنية وتقريب أبناء الوطن الواحد بعضهم من بعض وإعطاء الشباب كامل دوره في استشراف المستقبل والانصهار في الحياة الاقتصادية، قائلا: « سأكون الأذن الصاغية لكلّ مقهور واليد المعينة لكل ضعيف والأسد الحامي لكل ضعيف كما سأكون أوّل دافع للاستثمار والابتكار والخلق والإبداع». وبهذا المعنى تبدو دعوة قيس سعيّد في أوّل تصريح له إلى جمهورية ثالثة تعلي قيمة العمل والحرية والقانون، خطوة مهمّة لتنزيل أفكاره في سياق التجربة الديمقراطية والواقع الاجتمـــاعي والتاريخ السياسي للـــدولة الوطنية من أجل مشروع استراتيجي جـــامـــع ينبذ التطرّف والإقصاء ويجعل المسؤولية والالتزام أساس التشارك بين المواطنين.

ع.ب.ع

أيّ دور لنبيل القروي بعد هزيمته في الانتخابات الرئاسيّة؟

• بقلم حنان زبيس

لم تنجح كلّ المحاولات في منع نبيل القروي من الترشّح للانتخابات الرئاسية وتقديم قائمات لحزب »قلب تونس« الذي أسّسه للانتخابات التشريعية، فلا مشروع تنقيح القانون الانتخابي الذي تمّ التصويت عليه في البرلمان ولا إيقافه في قضية تبييض الأموال والتهرّب الجبائي ضدّه منظمة »أنا يقظ« قبل الإفراج عنه أربعة أيّام من موعد الدور الثاني من الانتخابات الرئاسية الذي وصل إليه نال من عزيمته بل ظلّ مصرّا على إدراك مبتغاه المتمثّل في الارتقاء إلى سدّة الحكم. غير أنّ نتائج الانتخابات الرئاسية جاءت على عكس انتظاراته. فهل سيستسلم؟

إنّ المتابع لمسيرة نبيل القروي يلاحظ أنّ الرجل يتمتّع بحسّ برغماتي عال جعله يخطّط للوصول إلى الرئاسة منذ عامين على الأقلّ ويضع كلّ الوسائل اللازمة لتنفيذ مخطّطه،وإن لم يحالفه الحظّ في الأخير في الانتخابات الرئاسية أمام منافسه قيس سعيّد الذي حقّق فوزا ساحقا. الرجل، ليس غريبا عن عالم السياسة، فقد دخل معتركها منذ 2011 كأحد المؤثّرين في المشهد السياسي، حتّى وإن لم يتقلّد رسميا أيّ منصب. ولاننسى ما أثاره بثّ فيلم «برسيبوليس» الفرنسي الإيراني الذي فيه تجسيد للذات الإلهية، عشية انتخابات المجلس التأسيسي في أكتوبر 2011، على قناته التلفزية «نسمة» من جدل كبير. وساهم بثّ هذا الفيلم الذي استثار مشاعر المدافعين عن الهويّة في تعزيز حظوظ النهضة للفوز بالانتخابات. بعدها قرّر نبيل القروي أن يفتح قناته لكلّ المعارضين لحكومة الترويكا بقيادة النهضة، وأعلن عن نشأة «نداء تونس» حزب الباجي قائد السبسي في 2012 من خلال قناته.

انخرط نبيل القروي إثر ذلك في النضال داخل هذا الحزب وكان من مؤسّسيه بحكم قربه من الباجي قائد السبسي. ولا يخفى أيضا أنّه كان مهندس التقارب بين الرئيس الراحل وراشد الغنوشي رئيس حركة النهضة إبّان اعتصام الرحيل في صائفة 2013، حين كانت البلاد على شفير حرب أهلية.

وقد قام نبيل القروي بحملة لفائدة الباجي قائد السبسي خلال انتخابات 2014 التي فاز فيها ليصبح رئيسا للبلاد. ومع احتدام الصراعات داخل «نداء تونس، قرّر صاحب قناة نسمة أن يبتعد عن الحزب دون أن يبتعد عن مؤسّسه قائد السبسي، حيث بقي وفيّا له إلى حدّ وفاته.

استراتيجيا الوصول إلى الحكم

في 2016، بدأت تختمر في ذهن نبيل القروي فكرة الترشّح للانتخابات الرئاسية، حيث قال في حوار تلفزي على قناته إنّه كان وراء صنع الرؤساء في تونس وإنّه قرّر أن «يعمل من هنا فصاعدا لحسابه الخاص». وفعلا بدأت قناته تبثّ بالتعاون مع الإذاعات الجهويةداخل البلاد لإيصال «صوت الجهات»، وواصلت ذلك رغم الخطايا المالية التي أنزلتها عليها الهيئة العليا المستقلة للاتصال السمعي البصري من أجل مخالفة القانون. ثمّ جاء تأسيس جمعية «خليل تونس» الخيرية، بعد وفاة نجله في حادث مرور أليم. تمكّن من خلال هذه الجمعية من أن يجوب البلاد طولا وعرضا ليلتقي بالفئات المهمّشة ويطّلع على أوضاعها الصعبة، على أن يجعل منها قاعدته الانتخابية . ولم يفته أن يوظّف قناته في تغطية كل التنقّلات داخل البلاد لتوزيع الإعانات لفائدة «الزواولة». بذلك ضمن نبيل القروي خزّانا انتخابيا محترما أهّله لأن يتصدّر نتائج سبر الآراء بـ30 % من نوايا التصويت.

هذا الصعود المفاجئ للرجل عبر جمعيته الخيرية لم يلبث أن أثار ارتياب منافسيه الذين بدؤوا يفكّرون في طريقة تعطيل مساره ، فجاء مشروع تنقيح القانون الانتخابي المقدّم من الحكومة والذي تضمّن فصولا تمنع الجمعيات من ممارسة العمل السياسي والمشاركة في الانتخابات، وذلك قبل الموعد الانتخابي بأشهر قليلة. وتمّ حشد الدعم من قبل رئيس الحكومة وحليفته حركة النهضة لتمرير هذا القانون في البرلمان. وفعلا تمّت المصادقة على مشروع القانون هذا رغم معارضة شقّ كبير من الساحة السياسية له باعتباره قانونا إقصائيا، هدفه قطع الطريق على نبيل القروي وعلى جمعية «عيش تونسي». إلا أنّ رئيس الجمهورية الراحل الباجي قائد السبسي رفض توقيع القانون ليحبط هذا المخطّط. ولكنّ نبيل القروي، الذي خبر دواليب السياسية وحيلها، لم ينتظر قرار الرئيس وإنّما ذهب مباشرة إلى تأسيس حزب سمّاه «قلب تونس»، ليتمكّن من الترشح للانتخابات.

اضطرّ منافسوه للبحث عن وسائل أخرى لعرقلة تقدّمه، فقاموا بتحريك القضايا المرفوعة ضدّه في القطب القضائي المالي، فكان أن تمّ استدعاؤه للتحقيق معه عديد المرات والأمر بتجميد أمواله وأموال شقيقه غازي القروي، إلى جانب تحجير السفر عليهما.
ولكن الرجل العنيد لم يستسلم وواصل تحرّكاته الميدانية بكل ثقة في الفوز، ليفاجأ بصدور بطاقة إيداع في حقه من قبل دائرة الاتهام بمحكمة الاستئناف بتونس وضعه قيد الإيقاف التحفّظي في سجن المرناقية في 23 أوت 2019.

الاستماتة من أجل تجاوز العراقيل

على إثر هذ الإجراء، حُرم المترشّح نبيل القروي من القيام بحملته الرئاسية في الدور الأول وكذلك من إدارة حملته التشريعية. وقد قام فريق حملته وخاصّة زوجته سلوى السماوي بدور كبير في مواصلة الحملة في غيابه. وجابت قرينته البلاد للتعريف بقضية المترشّح السجين وإقناع الناخبين بالتصويت لفائدته وعرفت سلوى السماوي كيف تؤثّر في جانب من التونسيين بما تتميّز به من قدرات خطابية لافتة وحذق لأساليب التعامل مع وسائل الإعلام. واستطاع نبيل القروي بفضلها، وكذلك بفضل أعضاء حملته، أن يمرّ إلى الدور الثاني من الرئاسية وأن يتحصّل على 38 مقعدا في التشريعية.

إلا أنّ استمرار قبوعه في السجن وحرمانه من القيام بحملته الانتخابية للدور الثاني من الرئاسية ألقى بظلال كثيفة على كامل المسار الانتخابي وتعالت أصوات من الداخل والخارج منادية بإطلاق سراحه احتراما لمبدإ تكافئ الفرص مع منافسه قيس سعيّد.وقد رفض هذا المترشّح القيام بحملته الانتخابية مادام منافسه رهن الإيقاف. وأضحى الحديث مركّزا على انعدام نزاهة الانتخابات وإمكانية الطعن في نتائج الدور الثاني إذا تواصل حبسه، خاصّة من طرف ممثّلي حزبه.

ثم جاء الإفراج عن نبيل القروي يوم 9 أكتوبر 2019 بقرار من محكمة التعقيب بعد أربعة مطالب طعن سابقة في قرار دائرة الاتهام، تقدّم بها فريق محاميه.

وحظي خـــروجه من السجـــن بتغطية إعلامـــية بارزة، واعتبر نبيـــل القـــروي إطلاق سراحه انصافا لـــه ضدّ من تآمروا عليه.

وسرعان ما انطلق في القيام بحملته الانتخابية قبيل يومين من بداية الصمت الانتخابي ليتكرّر حضوره في البلاتوهات.

كان أوّل ظهور له في قناة «الحوار التونسي» في حوار مطوّل يوم 10 اكتوبر عاد فيه إلى محاولات إضعافه الأمر الذي تسبّب له في خسارته عشر نقاط في التصويت في الدور الأول من الانتخابات الرئاسية، على حدّ تعبيره، حيث نزل من 30 % إلى 20 % حسب نتائج عمليات سبر الآراء الأولى. واعتبر أنّ ذلك كان لأغراض سياسية تتمثّل في تعطيل تقدّمه إلى حين التأكد من نتائج الانتخابات التشريعية وضمان فوز النهضة فيها.

وفي الأثناء، انفجرت فضيحة استعانة القروي بشركة لوبيينغ إسرائيلية للفوز في الانتخابات، على إثر نشر وزارة العدل الأمريكية للعقد الذي أبرمه مع الشركة. ثم جاء فيما بعد الحوار الذي أُجري مع مدير هذه الشركة وهو عميل سابق للموساد. وقد هزّت هذه الفضيحة الرأي العام التونسي ولم تفلح تبريرات نبيل القروي في إقناع التونسيين بحسن نيته في التعـــامل مع الشركة المذكورة.

هل تعني الخسارة النهاية؟

ولعلّ المـــــناظرة التي تمّ تنظيمها بين نبيل القروي وقيس سعيد يوم الجمعـــــة 11 أكتوبر كان لها تأثير بالغ في تحديد مآلات الدور الثاني من الانتخابات الرئاسية،

حيث لم ينجح نبيل القروي في تغيير الصورة السلبية التي يحملها عنه عدد من الناخبين، مقابل منافس مشهود له بالنزاهة ونظافة اليد ورافـــــض للتطبيع مـــــع إسرائيل. وعبثا حاول نبيل القروي الإقنـــاع بمشروعه، خـــاصة دعوته إلى ميثـــاق وطني تمضـــي عليه الأحزاب والمنظّمات الوطنية لمقاومة الفقـــر، والتركيز على الجـــانب الاقتصادي والاجتماعي والمراهنة على التكنولوجيـــات الحديثة لتشغيل الشباب بالإضافة إلى وعوده بحلّ مشكل إنتاج الفسفاط وبجلب الاستثمارات الخارجية ولكنه لم يُفلح. فكـــانت النتيجـــــة أن صوّت ثلاثة أربـــاع الناخبين لفائدة قيس سعيّد.

خسارة نبيل القروي للانتخابات الرئاسية يجب ألّا تنسينا أنه يحظى بالعدد الأوفر من المقاعد في البرلمان بعد حركة النهضة وهو ما ذكّر به في ندوته الصحفية بعد إعلان هزيمته، قائلا : «لا زلنا القوة الثانية في البلاد». بالتالي، مازال في جعبته أوراق يُفاوض بها. فمن الواضح أنّ النهضة التي تحصّلت على 52 مقعدا في البرلمان لن تستطيع تشكيل الحكومة من دون امتلاك أغلبية في مجلس النواب، ممّا يجعلها مجبرة على التحالف مع أحزاب أخرى. فهل سيكون «حزب قلب تونس»من بينها؟

قبـــــل الدور الثاني مـــــن الانتخابات الرئاسية، ذكر نبيل القروي أنّه لن يتحالف مع النهضة معلّلا ذلك بأنّها كلّما تحالفت مع حزب إلاّ وأضعفته وتسبّبـــــت في تفكيكه، ولكن بعد ظهور نتائج الرئـــــاسية وفوز قيس سعيّد هل سيبقـــى على نفـــــس الموقف؟ هذا ما ستكشف عنه الأيّام القادمة.

ح.ز

بقلم رشيد خشانة

انتخابات 2019
الأجنحة المتكسّرة

يُذكّر المشهد الذي أنتجته انتخابات 6 و13أكتوبر بكتاب «الأجنحة المتكسّرة» لجبران خليل جبران. قرابة عشرة أحزاب، من اليمين واليسار على السواء، تترنّح تحت وقع الهزيمة، ولا ترى أفقا للتدارك في المستقبل، وفي المقابل مرشّحٌ مستقلّ يستحوذ على 77 في المائة من أصوات الناخبين، أمام مرشّح خسر السباق، بالرغم من كونه يملك وسائل تعبئة مُهيكلة، تفوق منافسه بعدة أضعاف. وتدلّ تلك النسبة الساحقة على أنّ التونسيين يريدون منح أوسع الصلاحيات للرئيس، كي لا يُكبّله البرلمان.

على الطرف الآخر من الصورة، تباين وضع الأحزاب المنتصرة، بين فوز أقرب إلى الهزيمة، واختراقات حقّقتها قوى لم يكن يُقرأ لها كبير حساب، قبل بضعة أشهر فقط. لكنّ الثابت أنّ الرابح الأوّل، وهو «حركة النهضة»، ماضيةٌ في استلام دفّة الحكم، على الرغم من اقتصارها على أقلّ من رُبع مقاعد البرلمان (52)، بالمقارنة مع ما حصدته من مقاعد في انتخابات المجلس التأسيسي وانتخابات 2014. لا بل إنّ عملية التركيب الراهنة أعسر من تركيب «الترويكا»، لأنّها كانت تحتاج آنذاك (في 2011) إلى حليفين فقط، أما اليوم فهي بحاجة إلى التحالف مع ثلاثة أو أربعة أحزاب، لنيل ثقة البرلمان، وهي مهمّة عسيرة.

استراتيجيا الاحتواء

تسعى «النهضة» إلى احتواء المرشّح الفائز بتأكيدها مرارا وتكرارا أنّه مرشّحها (الغنوشي) فيما ينفي هو مؤكّدا أنّه لا يتبع أيّ حزب، ويعد بمعاملة الجميع على قدم المساواة. وبعملية حسابية بسيطة، ندرك أنّ الملايين الثلاثة التي حصدها لا يمكن أن تساهم فيها «النهضة» بأكثر من 600 ألف صوت، وهو سقف خزّانها الانتخابي. من هنا ستكون الخطوة الأولى، التي تعتبر محكّا لعلاقات الرئيس الجديد بالحركة، هي تشكيل الحكومة. فبعد استكمال إجراءات أداء اليمين وترتيبات التسليم والتسلّم (مع القائم بأعمال رئاسة الجمهورية)، سيكلّف الرئيس الحزب الفائز بتشكيل الحكومة، طبقا لأحكام الدستور.

ويُخطئ من يعتقد أنّ «النهضة» ستوافق على تشكيل حكومة تكنوقراط، أو حكومة «كفاءات سياسية»، مسنودة من عدة أحزاب في البرلمان، لأنّها تُصرّ على أن تحكم، وأن تستأثر بمفاتيح القرار في القصبة، تماشيا مع حجمها الانتخابي. وما يشغلها هو الثمن الذي يطلبه شركاؤها في هذه العملية، فإذا كان أحد المكوّنات (التيار الديمقراطي) طالب بإسناده حقائب الداخلية والعدل والاصلاح الاداري، فماذا سيشترط الآخرون؟ وكم الحصة التي ستتنازل عنها «النهضة»، وكم تلك التي ستحتفظ بها لنوّابها المستوزرين؟

محاصصة... محاصصة

الأرجح أنّ معايير تشكيل الحكومة النهضوية، ستكون المحاصصة التي انبنت عليها حكومة «الترويكا»، والتي عصفت بأركانها، وأكرهتها على مغادرة الحكم إكراها. وهي الآلية نفسها التي اعتُمدت في تشكيل الحكومات المتعاقبة منذ 2015، في أعقاب لقاء باريس الشهير بين الشيخين. لكنّ الواضح أنّ الحركة لم تعد بحاجة إلى حليفيها السابقين «النداء» و«المشروع»، بينما تحتاج إلى كل من

«تحيا تونس» و«ائتلاف الكرامة» و«التيار الديمقراطي» وربما حزب الرحمة، إلى جانب عدد من «المستقلين». لكنّ هذا التحالف قد لا يكون كافيا للفوز بثقة البرلمان، ممّا يجعل التقارب مع الغريم اللدود «قلب تونس» جسرا إجباريا للوصول إلى القصبة.

يستبعد كثيرون تحالف «النهضة» مع حزب نبيل القروي، غير أنّ الأمور تسير نحو التفاوض والتفاهم. صحيحٌ أنّ القيادي في حزب «قلب تونس» حاتم المليكي أكّد أنّ حزبه لن يتحالف مع «النهضة»، ولن يشارك في حكومة تُشكّلها الحركة، مُعتبرا أنّ «منظومة الحكم الحالية، وخاصّة حركة النهضة هي المسؤولة الأولى عن فشل السياسة الاقتصادية والاجتماعية، التي تتخبّط فيها البلاد».

غير أنّ هذا الكلام مُوجّه للاستهلاك، فمثلما كان يُقال إنّ «النداء» و«النهضة» خطّان متوازيان لا يلتقيان، والتقيا، سيُقرب التفاوض بين «النهضة» و«قلب تونس» أيضا، سواء بناء على اتفاق سياسي، أم باستقطاب «النهضة» عناصر من «قلب تونس»، بوسائل مختلفة. قد يتساءل المرء هنا: كيف سيلتقي حزبان يختلفان في المرجعيات الفكرية والمنطلقات السياسية؟ والجواب سهلٌ، فكلاهما حزب براغماتي يهتمّ بالنتائج وليس بالمقدّمات والمرجعيات، وهو المنطق الذي جعل «النهضة» تدعم تعيين روني الطرابلسي وزيرا للسياحة مثلا، وستدعم أيضا توزير قياديين من «قلب تونس» في الحكومة الائتلافية التي ستُكلف بتشكيلها، بوصفها الحزب الفائز بالمركز الأول. والأرجح أنّ كلّا من «الحزب الدستوري الحر» و«حركة الشعب» سيبقيان في صف المعارضة، في استعادة لدور «الجبهة الشعبية» في البرلمان السابق.

مفاتيح القصبة

مع تسلّم «النهضة» مفاتيح القصبة، مثلما تأمل وتُخطّط، ستجد في قرطاج حليفا لها في شخص قيس سعيد، وهذا مكسب جديد بالنسبة إليها، قياسا على الموقع الذي تبوّأته في ظلال «الترويكا»، حيث كانت العلاقة مع الرئيس المؤقت، في البدء سمنا على عسل، قبل أن تقدح الخلافات زناد المعارك السياسية بينهما، والتي دفع ثمنها الرئيس المؤقّت السابق، خلال الانتخابات الرئاسية الأخيرة في 15 سبتمبر، بكثير من المرارة. لا يعني هذا أنّ الانسجام بين قرطاج والقصبة سيكون كاملا، فللرئيس المقبل مزاجُهُ الخاص ولـ«النهضة» اشتراطاتها، لكن من المستبعد أن تصل الخلافات مع سعيد إلى ما وصلت إليه مع المرزوقي. إذا استقرّ سعيّد في قرطاج و«النهضة» في القصبة، فمن يفوز بقصر باردو؟ يُطرح هذا السؤال أول ما يُطرح، من المُحذّرين من تغوّل الحزب الأوّل، وبسط سلطاته على جميع مفاصل الدولة. وعليه ستكون هناك ثلاث فرضيات أولاها أن تستأثر «النهضة» بالرئاسات الثلاث، وهو خيار غير مُوفّق، إضافة إلى أنه غير يسير، لكنه ممكنٌ نظريا. والفرضية الثانية هي الاكتفاء بالقصبة وقرطاج، لكن لماذا ترشّح رئيس «النهضة» لمقعد في مجلس النوّاب المقبل، وهو ما لم يحدث في انتخابات 2011 و2014، إن لم يكن ذلك بنيّة ترشيحه، في مرحلة لاحقة، لرئاسة مجلس النواب؟

يستبعد كثيرون تحالف «النهضة» مع حزب نبيل القروي، غير أنّ الأمور تسير نحو التفاوض والتفاهم. صحيحٌ أن القيادي في حزب «قلب تونس» حاتم المليكي أكّد أنّ حزبه لن يتحالف مع «النهضة»، ولن يشارك في حكومة تُشكّلها الحركة، مُعتبرا أنّ «منظومة الحكم الحالية، وخاصّة حركة النهضة هي المسؤولة الأولى عن فشل السياسة الاقتصادية والاجتماعية، التي تتخبّط فيها البلاد».

عمليّا، ما العمل اليوم بعدما ضمنت «النهضة» قرطاج والقصبة؟ هنا تُطرح الفرضية الثالثة، المتمثّلة في إسناد رئاسة الحكومة إلى ممثّل لـ«النهضة»، (من يكون؟)، مثلما ينصّ عليه الدستور، مع اكتفاء رئيسها بمقعد في مجلس النواب، وعندها يجوز التساؤل: ماذا سيُضيف له هذا المقعد؟ ومن سيتولّى رئاسة مجلس النواب، وقد عزف عبد الفتاح مورو عن الترشح لعضوية البرلمان المقبل، وهو المؤهّل منطقيا، وبحسب نتائج الانتخابات، لتولّي هذا المنصب؟

في هذا السياق، الذي يطغى عليه النصر الكاسح للرئيس المنتخب، تبرز مهمات ذات أولوية، أوّلها أن يشرح الرئيس برنامجه السياسي، الذي لم يفهمه التونسيون، خاصة أنّه لم يسبق أن طُبّق في أي بلد في العالم. وثانيها أن يوضّح طبيعة العلاقة مع مجلس نوّاب الشعب، وهو لا يملك أيّ مقعد في هذا المجلس، عدا الكتل التي دعّمته ليصل إلى قصر قرطاج، وقد لا تكون مؤيّدة بالضرورة لبرنامجه. ومن هنا تبرز ضرورة إيجاد أغلبية تتبنّى برنامجه، بشكل يجعلنا نرى ما هو الاتجاه العامّ في السنوات الخمس المقبلة، ولا نرى صراعات بين المؤسّستين، قد تعطّل دواليب الدولة أحيانا، مثلما عشنا ذلك في السنوات الأخيرة.

إجمالا، غيّرت الانتخابات، بشقّيها، ملامح المشهد السياسي، وسنرى توزيعا جديدا للمواقع والتحالفات، لكنّ أهمّ ما ينتظره التونسيون هو تبلور علاقة جديدة بين الرئاسات الثلاث، تصبّ في اتجاه علاج الاختلالات الكبرى، التي تشلّ اقتصادنا، وتؤسّس لحياة سياسية نظيفة، بعيدا عن سيطرة اللوبيات الاقتصادية وشبكات الفساد التي أنهكت البلاد.

ر.خ.

رأي

• بقلم عبد العزيز قاسم

كيفما تكونوا يُوَلّى عليكم

ملاحظات أوليّة

1

هنيئا للسيد قيس سعيد بفوزه الساحق بالرئاسة وأرجو ألاّ يندم ناخبوه ندامة الكُسَعي. ولنكن متفائلين ومن يدري لعلّ الخير كلّ الخير سيتدفّق على تونس ببركة الرئيس الجديد الذي أجمعت على مساندته كلّ النقائض. أهنّيء السيد قيس سعيد مع الاعتراف بأنّي لم أفهم من خطابه إلا نزرا يسيرا كما أنّي لم أجد لاستشهاداته، خلال مناظرته مع منافسه، بأقوال الجنرال دي غول، وهي بالمناسبة غير دقيقة، سياقا يبرّرها. وسأبقى منتبها على الدوام لكلّ ما سيصدر عن السيد الرئيس من أقوال وأفعال...

2

أمّا نحن فلا بدّ لنا من أن نستخلص النتائج العامّة ممّا جرى خلال حملات انتخابية ماراطونية مرهقة ومخيّبة للآمال بالضرورة. بادئ ذي بدء، نلاحظ أنّ أغلبية الشعب التونسي في التشريعية وفي دورتي الرئاسية لم يؤدّوا واجبهم الانتخابي. هذا مؤسف ولكنّ الشأن في خاتمة المطاف شأنهم. أمّا أن يرى فقهاء الإعلام والعلوم الاجتماعية في ذلك «العزوف» أو الاستنكاف أو المقاطعة تعبيرا عن عدم الرضى بالسياسات المتّبعة أو ضربا من الاحتجاج السلبيّ إزاء كلّ الفاعلين السياسيين ففي هذا التفسير تحيّة ضمنية للقصور والتقصير. رجاءً كفّوا عن إسناد شهادة استحسان للكسل ولغياب الوعي في ظرف اقتصاديّ واجتماعيّ وثقافيّ وإقليميّ في منتهى الحساسية.

3

يزدهي حزب النهضة، في غير تواضع، باحتلاله المرتبة الأولى في الانتخابات التشريعية وما ذلك إلاّ خدعة بصريّة فهم يتراجعون من دورة إلى أخرى. صحيح أنّ الإخوان يحتفظون بقاعدة ما زالت صلبة رغم ما طرأ عليها من تآكل ولكنّهم يدركون أنهم مدينون بهذا التفوّق النسبيّ لعلوّ نسبة الامتناع عن التصويت. لقد نزل الشيخ راشد شخصيا إلى الحلبة، لأنّ الشعب غير مضمون، فما أفاد الشيخ عبد الفتاح مورو من ذلك السند في الرئاسية شيئا. أما التشريعية فبالرغم من أنّ الشيخ راشد قد تخلّى عن هدوئه المعتاد ورغما عن تعبئته الشرسة لمريديه ضدّ حزب قلب تونس بكيل التهم فإنّ كثيرا من وجوه النهضة لن يلتحقوا بمقاعدهم في البرلمان الجديد.

4

حزب النهضة، والحالة هذه، أبعد من أن يكون وازنا في تأليف الحكومة المقبلة. يستطيع أن يتحالف مع بعض أراهيط الشعبوية من يتوعّدون فرنسا باختطاف سفيرها لدفع الديّة. كانت النهضة طوال السنوات الماضية تتعامل مع منافسين متحضّرين استطاعت أن تشرذمهم بعد أن قضت بهم مآربها. أمّا اليوم فإنّها ستتحالف مع المراهقين والهواة من أبنائها وأحفادها وستجد منهم من يحطّ من قدرها ويزايد عليها في مجال الأسلمة والثورجة والتلاعب بمقادير الوطن. ستتوصّل النهضة إلى جمع النصاب، بعد تجرّع مرارة الحنظل، ولكنّها تعلم أن ليس أمامها ما يؤشّر إلى تحقيق الاستقرار الحكومي بالنظر إلى الأحقاد والتناقضات المتحكّمة في الساحة.

5

شهدت هذه الحملة أكثر من سابقاتها بذاءة «فيسبوكية» منقطعة النظير. كان الفحش في الخطاب حكرا أو يكاد على أوباش السياسة ممّن لا يستندون إلى معرفة نظرية أو تجربة عملية وعلى مـــن لا يتجاوز رصيدهم اللغوي مفردات البطن وما دونه. لقد سبق أن نشرتُ بليدرز مقالا مطوّلا عن تعايش عبارات الورع مع المنكر وعن المزج بين الاستشهاد بالكلم المقدّس وبين التلفّظ بالقول المدنّس. وتأكّد لديّ الآن أنّ بعض القياديين لا يسلمون من هذا التلوّث. وعلى سبيل المثال، تفنّن السيد نور الدين البحيري، في تغريداته، في كيل أبشع النعوت لمنافسي حركة النهضة متسلّحا في ذلك بأقوى التسابيح الربانية. وللتذكير فإنّ السيد البحيري رجل قانون ووزير عدل سابق، يفقه جيّدا مدلول الكلمات ويدرك أكثر من سواه تبعات الثّلب والشتيمة... من لا يصوّت لقيس سعيد ولقائمات النهضة، في نظر السيد البحيري، خائن، فاسد، مافيوزي. بهذا المنطق، يوم يستقرّ الأمر والنهي للإخوان، جائز أن نتعرّض جميعا للتنكيل والتصفية...

6

ولقد فوجئنا مع الأسف بنفس الإسفاف وقلّة المروءة يصدران عن قيادات وأنصار محسوبين على الوسطية والحداثة في تناحر انتحاري داخل أبناء العمومة، في حين استفرد اليمين المتطرّف بالميدان فعاث فيه. لقد وُصِفتْ نتائج الرئاسية بالزلزال وما هي إلا عرض من أعراضه، فالزلزال الحقيقيّ الذي فتح كلّ الأبواب على المجهول هو الانهيار المدوّي لأحزاب كانت تمثّل طوقا صحيّا حول الجمهورية.

7

خلافا لما يقوله السيد قيس سعيّد، لم ينته زمن الأحزاب. إنّها بالأساس تنظيمات بشرية تتجدّد وتتأقلم، تتهاوى وتقفز من جديد ولا تضمحلّ نهائيا إلاّ من خلال عملية تدمير ذاتيّ. ذهب «النداء» بددا وتفرقعت الجبهة الشعبية على صخرة التعنّت والأنا المتضخّم. لقد عرفتُ شخصيا من بين الأحزاب المنهارة قياديين ونخبا ليس في صالح الوطن غيابهم. لذلك ندعو الحركات التي بينها صلة رحم أو حتّى شعرة معاوية أن تجتمع لصالح تونس. يا أيّها الذين شيطنتم بعضكم بعضا حاولوا تشكيل جبهة إنقاذ قبل أن يغمرنا ليل الظلمات.

8

ولا بدّ لنا من كلمة عن العدالة. قضت محكمة التعقيب بإطلاق سراح نبيل القروي فصالحتنا مع القضاء. وحتى لا ننسى يجب التذكير بأنّ ماكينة الحكم جعلت من الرجل أكبر مجرم عرفته تونس من عهد الملكة عليسة إلى عهد الخلافة السادسة. ربّما خالف السيد نبيل القروي القانون من حيث التهرّب الضريبي وغسيل الأموال شأنه في ذلك شأن العشرات من المشتغلين بالسياسة. ويعلم الخاصّ والعامّ مليارات الدولارات التي تصدّق بها أردوغان وأمير قطر على أعوانهما من الإخوان. كان على القضاء، تجنّبا لشبهة الانتقائية والكيل بمكيالين، أن يحقق مع الجميع بما عهدناه من هدوء وتروّ. أمّا أن يعتقل نبيل القروي بالطريقة التي شاهدها العالم أجمع، إذ كانت عين المعمورة على تونس، عشية الانتخابات الرئاسية فأمر لا يليق بالسمعة التي اكتسبتها تونس في القارّات الخمس كأنموذج للديمقراطية العربية. وبعد هذا كلّه ينتظر الناس على أحرّ من الجمر أن تتفرّغ الآن عدالتنا الموقّرة لفتح ملفّ الجهاز السرّي وملاحقة من سفّروا الآلاف من شبابنا إلى ليبيا وسوريا والعراق ومن دفعوا بالمئات من بناتنا إلى جهاد النكاح وللكشف عمّن أمر باغتيال شكري بالعيد ومحمد البراهمي.

9

منذ حدوث ما سمّي بالثورة إلى اليوم ونحن نسمع ونقرأ مصطلحات تُستعْمَلُ في غير مواقعها ولا تتّفق مع مدلولاتها. أخصّ بالذكر منها لتواترها: «الحقيقة»، «الحرية»، «الكرامة». إنّ الجهل بعلم المعاني لا يبرّر مثل هذا التعسف اللغوي. هذه الكلمات تغطّي قيما جليلة لا يجوز استهلاكها كيفما اتّفق فضلا عن إطلاقها على ما يتضارب في أغلب الأحيان مع الأخلاقيات التي تبشّر بها. احذروا الجماعات التي تلتفّ على المصطلحات لتتلاعب بالهويّة وبالتاريخ وصولا إلى تبرير الإرهاب وإلى نسف علاقاتنا الدولية الهشّة. مازال بعض المنادين بالكرامة يدافعون عن الدواعش وعمّا ارتكبته مدرسة الرقاب من فواحش. ينبغي أن لا يغيب عن الأذهان أنّ مصطلحات الجمهورية والديمقراطية والثورة مفاهيم حداثية لا تقبل الرجعية ولا تتعايش مع المُسَلّمات المتحجّرة.

10

«الشعب يريد». هذه العبارة السحرية التي جعلت منها الجماهير الغاضبة شعارا في انتفاضتها ضدّ نظام تآكل مقتبسة مباشرة من بيت أبي القاسم الشابي الشهير:

إذا الشعب يومـــا أراد الحيـاة فلا بـــدّ أن يستجيـــب القدر

هذا الشعار وهذا البيت انتشرا في أرجاء العالم العربي وحرّكا جماهير عريضة. بيت الشابي أضيف إلى النشيد الوطني لأنّه أسهم

في عودة الوعي الوطني طوال سني الكفاح التحريري. قصيدة «إرادة الحياة» نشرها الشابي سنة 1933 قبل وفاته بسنة وبضعة أسابيع فاستقبلتها النخب بما تستحقّ من حفاوة واستيعاب، ولكنّ سلفية العهد كفّرته باعتبار أنّ القدر بيد الله في حين أنّ المقصود هو المصير وأنّ الإنسان صانعه. وبعد ما يقارب التسعين سنة من صدور البيت وذيوعه الواسع استمرّت السلفية الوهّابية والإخوانية في رفضه ودحضه. وهذا الشيخ أبو إسحاق الحويني المصري، على سبيل المثال، يأبى إلاّ أن يضع العمامة على رأس مفهوم علماني ويتعسّف على العجز فيستبدله :

إذا الشعب يوما أراد الحياة «فـلا بـدّ أن يستعيـد العبر»

بمعنى لا بدّ أن ينخرط الشعب في التواكلية وأن يتعظ بالخرافات وبشطحات المنابر. وكثيرا ما يتطفّل الفقهاء على الشعر فيأتي بليدا ومبلّدا. والمؤسف أنّ هناك محاولات تونسية معروفة المصدر والمنحى تعتدي على عبقرية الشابي وتسعى إلى إعداد نشيد وطني بديل ممسوخ. ولنا لهذا الموضوع الحسّاس عودة.

11

لقد جعل السيد قيس سعيّد من عبارة «الشعب يريد» بوصلة ودستورا. ليس للسيد قيس سعيّد برنامج حكومي فالشباب هو الذي سيسطّر الخطط الإنمائية وسيقوم بمقاومة الفساد عن طريق التدخّل الفوري والمباشر. والويل كلّ الويل لمن يشكّك في قدرات الشباب على تسيير شؤون الدولة بما يقتضيه الأمر من كفاءة عالية. الحقيقة الثابتة هي أنّ الشعوب كلّها معرّضة، وفي زمن الفيسبوك بالذات، إلى التكييف وغسيل الدماغ. كفى تغريرا وإيهاما للشباب الذي لا يطالب في حقيقة الأمر إلاّ بالشغل والعيش الكريم.يا هواة السياسة اتقوا الله في أبناء الوطن. خلال الستينات والسبعينات كانت الصومال الدولة الإفريقية الأكثر تنمية وحضارة. كان مهرجان مقديشو السينمائي لا يقلّ أهميّة وألقا من أيّام قرطاج السينمائية. انظروا ما فعل وما يفعل بها «الشباب». قال أحد حكماء القرن التاسع عشر: إذا كان الشعب ملكا فملكته هي الدهماء.

12

لقد انكبّ الأدباء قبل غيرهم من المفكّرين على دراسة الميكانيزمات الاتصالية التي تتلاعب بأهواء بسطاء الناس. ولنا في مسرحية «يوليوس قيصر» نموذج شهير. بعد اغتيال الإمبراطور توجّه «بروتوس»، نيابة عن القتلة، إلى الشعب مبرّرا الإقدام على الفعلة فنادى الناس بحياته ثم سُمِحَ لأنطونيو برثاء القتيل وببراعة خطابية استثنائية جعل المستمعين يغيّرون رأيهم شيئا فشيئا وصولا إلى ملاحقة «بروتوس» وجماعته.

ولنا في مسرحية أحمد شوقي الشعرية «مصرع كليوباترة» صورة أخرى لقوّة التأثير والإيحاء في عقلية الجماهير بغية التصرف في إرادتها. في أحد المشاهد حوار بين مثقفين حول احتفال شعبي كبير بهزيمة عسكرية قدمتها السلطة في شكل انتصار. أحد المعلقين يقول :

اسْـمَـــعِ الشَّــعْـبَ (دُيُونُ) كَـيْـفَ يُـوحونَ إليهِ
مـلأ الأرْضَ هُـــتـــافًا بحيـاتَيْ قـاتلَيْـهِ
أثَـــرَ البُهـــتـــانُ فيـــهِ وانْطَلَـى الزورُ عليهِ
يا لـهُ مـن بَـبَّـــغـــاءٍ عَـقْلُـــهُ في أُذُنَيْـهِ

ع.ق.

Leaders

Abonnez-vous
&
Recevez votre
Magazine mensuel

Oui!
Je m'abonne à

Leaders & ليدرز
2 X 12 numéros

55 DT
Par an
Seulement

Ou
par version

Leaders
12 numéros

40 DT
Par an

ليدرز
12 numéros

25 DT
Par an

Nombre d'abonnements

Paiement

☐ Chèque bancaire ☐ Virement

PR Factory | RIB : 08 008 00067 10 01 274 071

Abonné :.....

Matricule fiscal : ☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐

Adresse :.....

.....

Téléphone : ☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐

Email :.....

Ennour Building, Cité des Sciences, BP 1082-200 Tunis Mahrajène
Tel. : 111 232 71 216 / Fax : 333 750 71 216 / e-mail : leaders.tunisie@gmail.com

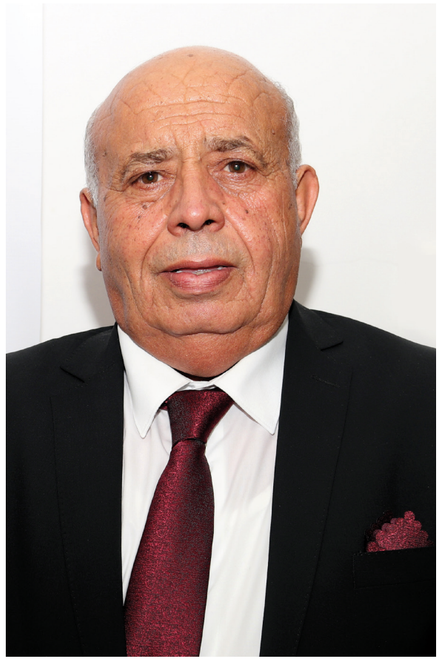

بعد هزيمتهم في الانتخابات الرئاسية والتشريعيـــة
اليساريون في موازنة «الشعب»

لا يختلف اثنان في كون الهزيمة التي مني بها اليساريون في تونس عبر النتائج الانتحابية التي أفصحت عن تدني التمثيلية الشعبية لليسار ممثلا في بعض رموزه هي هزيمة نكراء و قاسية جدا في نفس الوقت وقد أحدثت المفاجأة بعد أن حظي طيلة السنوات التي تلت الثورة (2011) باستحسان كثير من الملاحظين. كما اعتبرت مفخرة لليسار العربي الذي قلما عرف صحوة أو شبه الصحوة التي يبدو أنّ اليسار التونسي قد شهدها.

• بقلم العروسي عامري

للتّذكير

كان اليسار التـــونسي قد تـــوصّل إلى تجميع قوّاه في جبهة عريضة وتحصّل علي 16 مقعدا في البرلمان وهو رقم لا يستهان به على شرط أن يكون منطلقا ومرشّحا للازدياد إلاّ أنّ العكس هو الذي حصل في الانتخابات الراهنة، بل ثمّة من انطلق في تحاليل تنبئ بانقراض اليسار في تونس (مذكّرين بأنّ اليسار التونسي لا يعدو أن يتجاوز «صفر فاصل») شأنه في ذلك شأن ومصير كلّ اليسار في البلدان العربية حيث بقي منحصرا في النوادي الفكرية أو في أوساط ثقافية راقية والتي رغم «طلائعيتها» لم تنتج إلاّ إفرازات سياسية لا تتجاوز حجم الأقليات المناضلة. يبدو إذن أنّ انتعاشة اليسار في انتخابات 2014 وعدد المقاعد التي مكّنه منها الشعب كانت مجرّد فرصة للامتحان لا غير تبيّن أنّ اليسار لم ينجح فيها إذ لم يحافظ على المكسب بل الأدهى هو أنّه فرّط في تداعيات الانتعاشة التي ترتقبها أوساط التقدميين بتونس لا بل أنّ شبح الانقراض قد أصبح يخيّم على هذا اليسار الذي لا يتورّع البعض عن اعتباره بائسا ولا أمل فيه، خاصّة بعد أن بلغ الصراع داخل «الجبهة الشعبية» (بين منجي الرحوي وحمة الهمامي) أشدّه حول الترشح إلى رئاسة الجمهورية في غياب كلّي للمقومات الذاتية الدنيا والضرورية للادعاء وإعلان الرغبة في اعتلاء أرقى منصب في دفّة الحكم. ينطلق الرأي المتشائم القائل بأنّ اليسار في تونس لا أمل فيه من مسألة طرح المشاركة في الرئاسيات والصراع حوله داخل الجبهة بدون أيّ تحصين القواعد الشعبية وبدون أيّ إمكانية لتطبيق آيّ برنامج حكم يساري في ظلّ نظام سياسي أهم السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية فيه تحتكرها رئاسة الحكومة بدون منازع (هذا ما يقرّ به الدستور) وليس البتة رئاسة الجمهورية. وهذا يعني أنّ الصراع الذي دارت رحاه داخل الجبهة الشعبية في شتاء وخريف 2019 لا يعدو أن يكون شبه نزهة فكرية أو إن شئت ضربا من الترف الفكري الذي هو سمة من سمات البورجوازيات الصغيرة. وهو صراع أدّى إلى تصدّع الجبهة الشعبية وهي التي يعتبرها التقدميون التونسيون ذوو النزعة الماركسية مكسبا لا فقط لمناضلي «الجبهة» فقط بل وكذلك لكلّ التقدميين في تونس إذ تعتبر الجبهة حصيلة إيجابية لنضالات الشعب التونسي بقيادة نخبه اليسارية التي تعاقبت عبر أجيال من المناضلين خلال 40 سنة خلت على الأقل. لكن يبدو أنّ الساهرين على حظوظ الجبهة ليس لهم هذا الوعي إذ أصبحت مرتعا للتصدّعات والزعامات وتصادم أشباه البرامج وغير ذلك من الممارسات والتصوّرات الخاطئة. وهي اليوم عديدة متوغّلة ومتغوّلة ومن الصعب أن تحصى بكاملها وأن تجتث في وقت وجيز من الزمن هذا إذا أقرّ بذلك أولو الأمر والمعنيّون وبدؤوا في الجرد والتقييم لكن لايبدو الأمر كذلك والمؤشّرات الأولى تنبئ بأنّ دار لقمان ستبقى على حالها.

بعد النتائج القاسية التي أفرزتها صناديق الاقتراع والمتعلّقة برموز اليسار (عبيد البريكي وحمة الهمامي ومنجي الرحوي في الانتخابات الرئاسية) وانحسار بل سقوط قائمات اليسار في الانتخابات التشريعية سقوطا مدوّيا بما في ذلك في الجهات والمناطق المحسوبة تقليديا على اليسار مثل مناطق قفصة والقصرين وسيدي بوزيد خزّانات النفس الجماعي الثوري بامتياز. وهي المناطق التي تعتبر حاضنة للمدّ اليساري (النسبي) الذي تراءى غداة ثورة 2011. بعد هذه النتائج المزلزلة والمجلجلة من المنتظر أن تعبّر النخب التي تمسك بالمقود الحزبي اليساري والمعني مباشرة بهذه النتائج عن عزمها على معرفة أهمّ الأسباب وتحديد درجة مسؤوليتها في ذلك علاوة على فتح باب النقد الصريح النزيه والتوجّه نحونقد ذاتي يقف عند أهمّ أسباب الفشل بما يمنع كلّ التأويلات المغرضة ويسدّ الطّريق أمام الهدامين وفي نفس الوقت يسمح بالمحافظة على المكتسبات لأنّ وضع الأصبع على الداء ومكامنه يجنّب الانفلات ويحمي التنظيم والعباد (الموارد البشرية) والرصيد.

السؤال الذي يطرح نفسه هو : هل القيادات والمناضلون الذين طالتهم الحرقة هم الآن في هذا الوارد أو بالاحرى صدق من قال متشائما «لشكون تقرا زبورك يا داود؟». الأمل وطيد لدى كثير من الملاحظين ذوي الميولات اليسارية في إرادة قيادات اليسار الميدانية في فكّ اللغز والكثير ينتظر التصريح بفتح باب النقد والمراجعات إن لزم الأمر في هذه المسائل.ولا نزال ننتظر التقييم الكافي والشافي علما بأنّ تجارب اليساريين حافلة وخاصّة في بلدان الجنوب بعدم الوقوف على أسباب الخيبات. ولنا أن نتساءل أين نحن اليوم وأين هو اليسار من المراجعات المحورية التي كان يقوم بها الكومنتيرن(Komintern) او تلك التي كانت عميقة وجذرية و تناولت برامج الاقتصاد السياسي الجديد (NEP) . وهو برنامج وضع أسسه لينين غداة الثورة البلشفية سنة 1917. أين نحن من التمحيص العميق الذي بيّن أنّ المسار الذي انتهجه اليساريون في الاتحاد السوفياتي وهم ماسكون بدفّة الحكم آنذاك لا يغدو أن يكون تجربة فاشلة تنصهر جوهريا في «رأس مالية الدولة» وليس البتّة في نموذج التجربة الاشتراكية المنشودة. أين نحن؟ ولى ذلك العصرالذي كلّما وحالما تحلّ نكسة أو أزمة حادّة أو أيّ تراجع يهرع جميع المناضلين لتدارك الأمر حتى يتسلّح المناضل بالإضافات الجديدة التي ستسمح بها المراجعات الدؤوبة. أين نحن؟ رغم هذا السؤال القاسي لا يزال يحدونا الأمل عند طرح هذه التساؤلات في كون الأقلام الغيورة والمتمسّكة بضرورة الإصلاح قبل المضي ستصبّ كلّها متضافرة باتجاه بلورة التقييم كحتمية لا مناص منها.

مفهوم «الشعب» من المحتوى الفلسفي إلى الوصفة السحرية

الانكباب على فحوي الهزيمة التي مني بها اليساريون في تونس مهمّة عاجلة وملحّة وسأحاول التطرق إليها خاصّة في ما يتعلّق باليسار الكلاسيكي (اليسار المنظم في أطر حزبية أو «جبهوية») والذي طرح على نفسه قضية الوصول إلى السلطة كهدف للاستجابة

للمطالب الشعبية المشروعة. كما يشمل تحليلنا الجمعيات والتشكيلات المنظمة والتي طرحت على نفسها ضرورة الاعتناء بالشأن العام.

لكي نصل إلى التشخيص الملائم توخينا المقاربة التي تدعو إلى اعتماد عنصر ناطق يفصح لنا عن السبب أي طريقة (المفهوم الكاشف) le révélateur تماما مثلما هو الحال في علم الكيمياء المفهوم الكاشف الذي سنوظّفه في شبه التقييم الموجز الذي نحن بصدده هو مفهوم «الشعب» واستعمالاته في الخطاب والممارسة التي تتوخاها مكونات هذا اليسار عمليًا أي في نضالهم اليومي للوصول إلى السلطة وهي الغاية التي تعمل من أجلها كلّ جماعة تجمّعت في حزب سياسي.

عرف مفهوم «الشعب» رواجا وانتشارا واسعا بداية من القرن التاسع عشر. هذا التحديد التاريخي عامّ ويتطلب تدقيقا أكثر إلّا أنّه يؤدّي المعنى القائل بأنّ الحركات الثورية اليسارية عرفت فترة تأسيسها في الشكل الذي تشهده اليوم ولو أنّها كانت في طور جنيني أو لنقل في إرهاصاتها الأولى وذلك بالعودة الى المرجعية الفكرية التي أسّسها ماركس وكرّستها المنظمة الأممية وكذلك الحركات الاجتماعية والشعبية وعلى رأسها «كمونة باريس» سنة 1871. من ثمّة أصبح مفهوم «الشعب»ينتمي إلى الإبداع الاجتماعي والجماهيري والثوري الخاصّ باليسار (هذا ما تفتقر إليه الحركة اليسارية التونسية) قبل غيره، قبل أن تتبنّاه في شكله ومحتواه الذي نعرّف به راهنا مختلف الحركات الأخرى من إصلاحية وشعبوية وطنية وطائفية وانفصالية، ألخ...

مرّ هكذا مفهوم «الشعب»بمراحل عديدة، قبل أن يصلنا في القرن 21 بالمعنى الإيجابي الراهن وبعد أن طهّر من الأدران والشوائب التي كانت عالقة به ومنها نذكر بالخصوص الأطر المعرفية السائدة في العصور القديمة مثل عصر روما القديم حيث كان الشرخ الاجتماعي صارخا بين «العامة» (la plèbe) أي الذين يتعاطون العمل الشاق وبين الذين يتمتّعون بصفة المواطنة والحقوق المنضوية تحتها وخاصة حق الانتخاب دون غيرهم، إلى أن أتت الثورة الفرنسية في أواخر القرن 18 حيث كان اللامتسرولون (les Sans Culottes) يشكّلون النواة الأساسية لمفهوم الشعب وهم الذين ينحدرون منه مع غيرهم. وقد كانوا عرضة للاحتقار الذي تكنّه لهم الطبقة الأرستقراطية التابعة للنظام الاجتماعي والسياسي الإقطاعي (l'Ancien Régime) وصولا إلى عصرنا الراهن حيث اقترن مفهوم «الشعب» بالحقّ الذاتي والشرعي في تحديد وتقرير الشعوب لمصيرها ضدّ الطغاة وخاصّة ضدّ الاستعمار الذي كان مستشريا ومستفحلا بفعل تطوّر الرأسمالية التي وصلت إلى مرحلة جرّتها إليها التطورات الاقتصادية وأدّت إلى فرض العدوانية المفتوحة تجاه الشعوب واحتلال أراضيهم واكتساح أسواقهم والسيطرة على كياناتهم السياسية والثقافية ومصادرة مستقبلهم وإرساء مبدإ القوّة والقطيعة بدل ايتيقيا التواصل والسلام. من ثمّة أتى طرح ماركس والماركسيين الذي أعطى لمفهوم «الشعب» معنى المجموعة المتجانسة (ولو نسبيا) والتي تربط بين مختلف مكوّماته وطبقاته والمنصهرة في تشكيلة اجتماعية مشتركة أواصر ووشائج وسمات مشتركة عديدة والتي من شأنها أن توحّد بينها مثل الدين، والوطن واللغة و«العرق» (أو الإثنية) والقيم والانتماء المشترك (appartenance commune)، وهذا المعنى الذي نال صيتا واسعا أتى في إبّانه ليعزّز ويقترب كثيرا من مفهوم «الأمّة» ولا عجب في ذلك بالنظر إلى كون المرحلة التاريخية كانت مرحلة المقاومة ضدّ الاستعمار الذي يهدف بالأساس إلى سلب الشعب من مفهوم الأمّة حتّى يتمّم مشروعه الاحتلالي يتلوه المشروع الاستيطاني يتلوه في النهاية السلب المطلق للحقوق الشرعية والتاريخية. وهكذا خلص مفهوم «الشعب» تدريجيا إلى الجزء الاجتماعي من الأمة الذي يعاني الويلات الاجتماعية العديدة وفيه نجد الفئات المستغلّة والمهمّشة والمحرومة والمشرّدة والمسلوبة والمقموعة والمحتقرة من طرف السلطة السياسية القائمة والطبقة (أو الطبقات) المهيمنة وما تمثلها من مصالح داخلية وأجنبية وكذلك من طرف النسيج الثقافي والنفسي العام الذي يتطور حسب حاجيات الهيمنة إلى آليات معنوية ضرورية لضمان استمرارية الهيمنة ودوامها ويكون إنتاج هذه الآليات متواصلا ومسخّرا في الفضاء العامّ والخاصّ ويشمل الأبعاد العديدة (في أنظمة التوزيع الترابي اللامتكافئ في الاستقطاب المالي وفي التموقع الفعلي والقانوني للاستحواذ على الثروة، وفي سنّ وتنظيم قوانين وآليات التعليم وفي طرق التأطير المعرفي وسبل الاحتواء عبر الثقافة والإعلام وفي تقنيات ترويض الجسد وتحديد مجالات ظهوره وكيفيتها، الخ...). ولا يعرف إنتاج هذه الآليّات انقطاعا البتّة، خوفا من أن تسقط منظومة الهيمنة والاستبداد.

ومن الطبيعي أن يصبح مفهوم «الشعب» بعد كلّ هذا الزخم المقترن بالسخط المؤسّس والمحرّر والذي يحمل القيم والاتيقيا الضروريّة لكلّ انعتاق وكذلك لكلّ تأسيس جديد لمجتمع إنساني البوصلة لكلّ نضال يعتمد المبادىء والقيم. لكلّ ذلك أصبح مفهوم «الشعب» «مفتاحا يشقّ الطريق الموصولة وقد يستعمله البعض في معناه القصير والضيّق أي المعنى «الانتهازي» والظرفي وقد تبتسم له الأيام ويصل لكن مؤقتا إلى مبتغاه إلى أن تصل «الملّة الناجية» إلى تجاوز المظاهر البرّاقة ومعنى «الوصفة السحرية» وطرح مفهوم «الشعب» في معنى «القوّة التّاريخية الضاربة والفعالة باتجاه معاني العدالة والحرية والاتيقيا».

ويؤمّن، مفهوم «الشعب» وحده المحطات التاريخية التي تدعو إليها الأحزاب السياسية وقاداتها وتكون الانتخابات والصندوق وسيلة (في ظلّ العلوم السياسية «الحديثة») للوصول إلى السلطة في مواعيدها الثلاثة: البلديات والتشريعيات والرئاسيات.

«الشعب» الغائب الحاضر في سياسات اليسار التونسي

من المفروض أن يكون اليسار «محظوظا» من الناحية المفاهيمية والاتصالية ذلك أنّ له معجما لفظيا من أدقّ ما يكون علميا وكلمة «شعب» واحدة من هذه الألفاظ التي تمكّن اليسار من تأدية وظائفه النضالية في بلورة استراتجياته وتحديد معالم تكتيكاته (في أفضل الظروف) و منها الحملات الانتخابية وما يسبقها من إعداد ميداني تقصر أو تمتدّ مدته حسب روزنامة المواعيد الانتخابية.

عندما نتمعّن في استعمالات اليساريين لكلمة «الشعب» في تونس في المجالين الخطابي والعملي(الممارسة والعلاقة مع الميدان الملموس) يتّضح لنا أن «الشعب» هو الغائب الحاضر.

كلمة «شعب» تستعمل في الواجهات وفي لافتات الأحزاب السياسية وتستعمل في الخطاب عندما يحتاج الخطيب إلى كلمة استعصت عليه فيعوضها بها واليساريون هم الذين يعلمون علم اليقين كلّ المقولات في الموضوع وأكثرهم رواجا هي مقولة غرامشي حول «اللحمة العضوية بين الشعب والمثقف الثوري». نسوق هذا الكلام القاسي لأنّ الأحداث بيّنت لنا بما لا يدعو إلى التردّد أنّ النجاح الذي لقيه كلّ من قيس سعيّد ونبيل قروي رغم الهينات التي تشوبه من شأنه أن يدفع القيادات اليسارية إلى التفكير مليا في الموضوع واعتبار أنّ السبب الأول في إخفاقهم هو سياساتهم الاتصالية بالشعب بشكل ملموس وهما اللذان نالا عددا من الأصوات لا علاقة و لا مقارنة له بعدد الأصوات التي تحصل عليها مرشّحو اليسار. وهذا ما دفعنا إلى القول إنّ مفهوم قيادات اليسار في تونس عمليا، أي فعليا و ممارسة، هي غير تلك التي من المفروض أن يكونوا استوعبوها ومارسوها في نشاطهم السياسي اليومي. لذلك وجب التذكير بالسهل الممتنع اي بأبجديات النضال المرتبطة بمفهوم «الشعب» بكل هذه البساطة.

الشعب مفهوم ملموس ومجسّم.. الفلاح الصغير لا يؤمن بالكتب والكلام (حتّى و لوكان معسولا) إنّما يؤمن بالتجربة وبالأبعاد الحسية (هذا ما أثبتته كل المقاربات التي تناولت دراسة الفلاحين وخاصّة الصغار) أي عندما يكون في حاجة ماسة إلى حضور مساعديه لديه (أو الذين يتكلمون من منطلقات مصالحه) عندما مثلا تتعرّض الماشية إلى الإتلاف بسبب فقدان العلف أو في فترة الجفاف. كذلك العاطل عن العمل الذي لن يقف إلى جانبك إلاّ إذا آزرته وقت المحنة. كذلك الأرملة والمطلقة فهي لا تعترف بالجميل إلاّ لمن آزرها ووقف معها في وجه حاكم غير منصف أو قاض ضيّع لها حقّها.

لكن لسنا في حاجة إلى كلّ هذه الحجج والتبريرات. يكفينا أن ننظر حولنا حتّى نعي أنّ الشعب هو كلّ ما يدور حولنا وما نعاينه في حياتنا اليومية وما علينا إلا الاستعداد لتقبله ولملاقاته والاحتفاء به. فهو الذي تجده أمامك في المدينة في الأحياء القصديرية المكتظة والوسخة في أقرب نهج لك حيث تقطن وهو جار أصابه الضيم، آو امرأة عنّفت بغلظة، أو طفل جائع، بل هو كذلك هذا البشر الذي يقيم في «سباسب الحلفاء» في الوسط والجبال في الشمال وفي عين دراهم مثلا أو غيرها ونجده في الدوّار والأكواخ، وفي الشمال الغربي حيث يقطن المواطنون الذين يشكون من قلّة ذات اليد منعزلين عن مسالك التواصل، بدون مأوى، يعانون من البرد القارص، أقدامهم حافية، تكوينهم المدرسي يكاد يكون منعدما، هؤلاء عندما تنزل الثلوج في الجبال و السهول، يمسكون بحرارة يد الذي يأتي يسأل عن أحوالهم ،معربين له عن عرفانهم بالجميل، علما بأنّ لا الصحافة تعنيهم ولا الخطابات المعسولة. فالحضور الملموس هو الذي يقنعهم عندما يلتمسون التضحية الفعلية التي تكبّدها من تحمل مشاقة السفر إليهم يعضدهم ويمدّ لهم يد العون.

هكذا يكون الالتزام بقضية الفقراء والمهمّشين. هي مسألة إنسانية قبل أن تكون مسألة سياسية. وهذا هو الذي يبقى لدبه ولن يمّحى. هذا العنصر هامّ جدًا لأنّه يميّز بين المناضل اليساري ذي التوجهات السياسية، فهو الذي يؤسّس للحمة مصيرية ولوشائج تتجاوز المنفعية السياسية الآنية وتصبح ترادف الالتحام الحقيقي بين القيادة الثورية الحقّة وبين الشعب الذي لن يخذلها أبدا وبهذه الروح النضالية الصادقة فقط وليس بغيرها يكافئ الشعب مناضليه في الإبّان بدون أن يطلب أحد منه ذلك عندما تأتي استحقاقات الانتخابات مهما كانت.

كان نجاح قيس سعيّد ونبيل قروي في الانتخابات الرئاسية في الدور الأول (نجاحا نسبيًا من حيث الأرقام و مقارنة بما تحصل عليه مرشّحو ونوّاب اليسار) ثمرة منتظرة من الاتصال المباشر الذي لم يتحقّق إلاّ في اشكاله الرمزية. زيارة واحدة أو زيارتان على أقصى تقدير كانتا كافيتين لجعلهما يتبوّآن المراتب الأمامية في ترتيب المترشحين.

أين نحن إذن، بربّكم من شعارات اليسار المنادية بضرورة الالتحام بالشعب ؟ شعارات أزلية لم تفعل بل بقيت صراخا فوق المنابر الإعلامية وكلمات تصيغها القيادات في الملتقيات أو على أرائك النواب بالبرلمان أوكلمة مكمّلة لجمل منّمقة بكل أنواع التزويق الكلامي أمام ميكروفون الصحفي الذي أتى يبحث عن مقابلة يؤثّث بها برنامجه الإذاعي أو التلفزي (من هنا قد نفهم تحفّظ قيس سعيد تجاه الصحافة التي قلّما يتابع الشعب الكريم إحداثاتها). على اليسار أن يغادر «رغد» العيش بالمدينة وأن يقلع عن كسله وعن الأرائك وأن «يثني» الركبة ويجلس على الأرض ويلتحم بالفلاح والعامل. فلا التعب ولا بعد المسافات ووعورتها تثنيه عن هذه المهمّة المركزية لعمله السياسي إن أراد حقًا أن يكون وفيًا للفكر اليساري الذي يحمله وهو عبء ثقيل لكنّه منعش في الآن نفسه لا يتكبّد أوزاره إلا المناضل الذي يعشق ارتباطه بالشعب.

ع.ع.

المدرسة أخلاق وعلم وعمل
أحبّك يا شعبا

الجمهورية التونسية
الانتخابات الرئاسية والتشريعية 2019
يفتح المركز
على الساعة الثامنة صباحا
يغلق المركز
على الساعة السادسة مساء

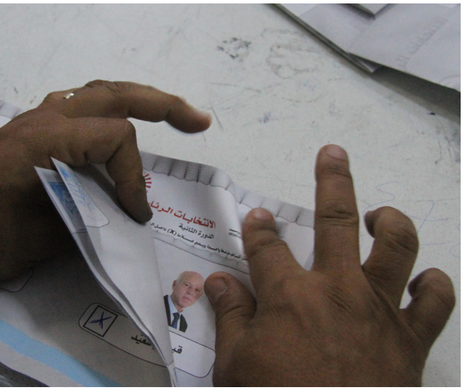

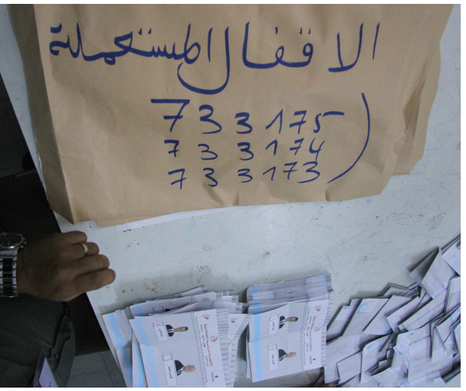
الاقفال المستعملة
733175
733174
733173

A STAR ALLIANCE MEMBER

الخطوط الجوية التركية
عنوان الاناقة

TURKISH AIRLINES

التقاعد والمتقاعدون

• بقلم د. منجي الزيدي

تزايد انشغال الرأي العام التونسي في الآونة الأخيرة بالمتقاعدين، ومردّ ذلك بالأساس الوضعية الصعبة لأنظمة التغطية الاجتماعية وصناديق الضمان الاجتماعي وما انجرّ عنها من تأخّر في صرف الجرايات و نقص في مقاديرها. وتراجع القدرة الشرائية لفئة آخذة في الاتساع تجاوز عددها المليون شخص، أضحوا يشعرون بالغبن و عدم الاعتراف بهم. وهم الذين أفنوا سنوات عديدة من أعمارهم وصحّتهم في خدمة المجتمع.

الواقع

أنّ أوضاع المتقاعدين هي انعكاس لما هي عليه تجربة التقدم في السنّ في مجتمعنا ولطبيعة العلاقات التي تربط بين الأجيال فيه. ذلك أنّ السّن معطى بيولوجي يتشكّل اجتماعيا وفق تركيبة المجتمع وثقافته. وبالتالي فإنّ النظام الاجتماعي هو الذي يُسنِد المكانة والأدوار المناسبة لكلّ شريحة عمرية، ويحدّد «روزنامات» الانتقال بين مختلف المراحل العمرية من الطفولة الى الشباب ومن الكهولة الى الشيخوخة...فالمجتمعات التقليدية المتضامنة التي تلعب فيها الأسرة الممتدّة دورا هامًا تُعلي من شأن المُسن الخبير والحكيم ، في حين تتضاءل هذه المكانة في المجتمعات الفردانية التي تسود فيه ثقافة المنافسة وتُعلي رموز القوّة البدنية والشباب الدائم...

وحريّ بنا أن نتفادى هنا الخلط السائد بين المتقاعد والمسنّ. فالتقاعد مرتبط بنظام إداري ينظّم النشاط المهني ويرتكز على اعتبارات اقتصادية بالأساس. كما أنّ «الشيخوخة» مصطلح غير دقيق وغير ثابت وذلك لارتفاع مؤشّرات أمل الحياة عند الولادة وتطوّر الصحّة وظروف العيش،ناهيك عن التمديد في فترة النشاط المهنيّ لبعض الفئات...ولقد أصبح الفرد اليوم يبلغ سن التقاعد وهو في صحة أفضل وقدرات بدنية ومادية أحسن من ذي قبل، كما أنّ فئات كثيرة صارت تفضّل أنظمة التقاعد المبكّر لتتفرّغ لنشاطات أخرى مهنية واجتماعية...وبالتالي فإنّ التقاعد لا يعني بالضرورة خريف العمر. لم تعـــد العلـــوم الاجتماعية تتحدّث عن «الشيـــخـــوخـــة» و«الســـن الثـــالـث» Troisième âge وغيرها من المصطلحات التي تحيل إلى الضعف والوهن والانسحاب من الحياة، بل صارت تُفضّل مصطلح «النصف الثاني من الحياة» وما يحمله من معاني الاستمرارية وتواصل مسيرة العطاء بأشكال وبصيغ مختلفة ومبتكرة.

ولكنّ الأمر لا يخلو من الصعوبة والحساسية. ذلك أنّ التقاعد مرحلة مستجدّة تتخلّلها فترة بحث عن هوية جديدة، فالنشاط المهنيّ يطبع حياة الإنسان لما يستغرقه من وقت ويستهلكه من جهد. و تتطلّب نهايته تهيئة نفسية واستعدادا ماديا ومعنويا. فتأثيث الحيّز الزمني الجديد الواسع نسبيا ليس بالأمر اليسير بالنسبة إلى الكثيرين. وهو يزداد صعوبة للبعض ممن كانوا يتحمّلون مسؤوليات تكسبهم وجاهة اجتماعية وتجعل منهم محلّ طلب ممّن يحيطون بهم، فكثيرا ما تكون الوضعية صعبة نفسيا مع دخول هواتفهم في فترة «صمت اجتماعي» واضطرارهم إلى الوقوف في طوابير الصناديق الاجتماعية أو في قاعات الانتظار في إدارات كانت تحت إمرتهم...

ولئن اتّسعت الاختيارات لشغل الوقت الواسع المتاح للمتقاعد اليوم من أنشطة أسرية واجتماعية وحتّى مهنية فإنّ المكانة التي يحتلّها من يتقدّمون في السنّ في المجتمع التونسي تشوبها العديد من الظواهر السلبية. لقد تفشّت في مجتمعنا ظاهرة السخرية من الكبر والعجز والتقدّم في السنّ Agisme أمام تنامي ما يمكن أن نسميّه ظاهرة تضخيم «شبابوي» Jeunisme . و الأمر مفهوم سوسيولوجيا باعتبار الثقل الاجتماعي والديموغرافي للشباب وجسامة الأعباء والاستحقاقات الاجتماعية والاقتصادية المترتبة عن ذلك، وباعتبار ظاهرة «الاحتكار الجيلي» التي يعاني منها «القادمون الجدد» les nouveaux venus والتي يمارسها عليهم الذين «وصلوا بعد» les déja arrivés على حدّ تعبير «بورديو». ولكنّ ما يسترعي الانتباه هو استفحال مظاهر الاستهزاء وانتشارها على وسائل التواصل الالكتروني وتكريسها من قبل النخب السياسية كورقة انتخابية، وذلك أمر يطال منظومة القيم الاجتماعية التي تشدّ المجتمع بعضه إلى بعض، ويسئ إلى الشباب أكثر ممّا يخدمه. ذلك أنّ الشباب داخل حقل السياسة ليس بمأمن من نزعات التوظيف والتجنيد، ولطالما كان وقودا لمعارك من هم أكبر سنا وأصلا تجاريا بيد محترفي التعبئة...لقد راهنت قوّى السياسة على تطلّعات الشباب ومعاناته واستثمرت في نفس الوقت فيما لحق المتقاعدين من غبن واستنجدت بخزّانهم الانتخابي.

لقد ثبت عند علماء الاجتماع والمؤرّخين من ابن خلدون مرورا برواّد الفكر الوضعي أنّ تجدّد الأجيال محرّك للتاريخ وعامل دفع لعجلة التقدّم والتطوير. ولكنّهم لم ينفوا صفة التكامل والاستمرارية البنّاءة التي تضمن الإضافة للمكاسب الموجودة، وليس أدلّ على ذلك من قول «كارل مانهايم» : «ليس التلميذ وحده من يتعلّم من المُعلّم بل المُعلّم نفسه يتعلّم من تلميذه»، وتلك قولة تختزل فلسفة تربوية كان من أهمّ واضعيها.

من هذا المنظور حريّ بمجتمعنا أن يحافظ على علاقات سليمة بين الأجيال وأن يتحمّل مسؤوليته التربوية في تكريسها والنهوض بها من أجل «تضامن جيلي» يتقدّم بالمجتمع إلى الأمام. فالمتقاعد فاعل اجتماعي فعلي بإمكانه مساندة الطاقة الشبابية الخلاقة والمبتكرة بالخبرة والدربة والمران، دون احتكار أو استصغار. لقد ولّى عهد «التقاعد الانسحابي» la retraite retrait الذي كان يهدر إمكانات كثيرة في سياق انكفاء المتقاعد وتواريه في إطار ما يسمّى la déprise أي الاستسلام للفراغ واستهلاك ما تبقّى من العمر انتظارا وحنينا ونظرا في المرآة العاكسة..

تتربص بمجتمعنا نزعات التّفرقة والتّفكيك والطريق إلى الانهيار ممرّ بالتنازع بين الأجيال وبين أبناء الأسرة الواحدة، وأمام القيادات والمؤسّسات الاجتماعية مسؤولية جسيمة ألا وهي إعادة ابتكار اللُّحمة الاجتماعية على أسس التماسك والتواصل والتفاعل.

م.ز.
أستاذ تعليم عال بجامعة تونس

بقلم عادل الأحمر

يوميات مواطن عيّاش

الغول والجنية... والكاميرا الخفية

أمسيت ذات أحد، مثل كل العباد، على نتائج انتخابية حيّرت البلاد : هذا يقول «لطخة» وهذا يقول : «زلزال»، وجماعة تتعوّذ من سوء المآل. ولم يخف عليّ العياش صدمته، عندما بخصوص هذا الحدث الجليل هاتفته، فقد وجدته كالبحر الهائج المائج، ليس - كما قال لي- بسبب النتائج، ولكن بسبب ما اكتشفه في نفسه من جهل بحديقة تونس الخلفية، إذ كان قبل هذا اليوم لا يعرف من البلد إلا الواجهة الأمامية، وغابت عن أنظاره المناطق النائية المنسية، إلى أن خرجت له فجأة من الصندوق مثل غول أو جنّية !

«كنت، كما اعترف لي العيّاش بكل أريحيّة، ما نعرف م الثنايا كان «لوطوروت» والطرقات المسماة بالوطنية، وعمري ما دخلت إلى أعماق حومة عربي، أو دغاغر حي شعبي...كنت أتجوّل بين نابل والحمّامات وسوسة والمهدية، لكن لم أكن أزور منها إلا مناطقها السياحية : مناطق حلاوات، تشعّ بفرحة الحياة، فأقصد « لوتيل»، وكلّ شيء فيه رائع جميل، لكأنّك في الجنّة، تجد فيها كل ما تتمنى...وها أنا أكتشف اليوم الحديقة الخلفية، وهي في الحقيقة، لا جنينة ولا حديقة، بل مناطق مهملة منسيّة، تعيش على هامش التنمية الاقتصادية، وخرجت لنا اليوم من الصندوق، مثل ما يحدث في الكاميرا الخفية !».

«كنت أعتقد أنّ بلادنا أكثر ما فيها الطبقة المتوسطة وهي - على ما يقال- عامل استقرار، لكنّي تأكّدت اليوم أنّها آخذة في الاندثار، أو تحوّلت أغلبيتها إلى فئة الفقراء والزوالية، بينما نزل هؤلاء تحت عتبة الفقر درجتين وشوية، فإذا بالصندوق ينطق بأصوات الجميع في صيحة قوية».

«لقد أدركت اليوم أنّني عندما أقول «أحنا التوانسة» كنت أعني نوعا معيّنا من الناس، ناس كيفي م العاصمة والمدن الكبرى أحوالهم تقريبا لا باس، وإلا أقلّ شي نصف لباس، لكن أين أنا من تونسيّي الأرياف العميقة والأحياء الشعبية، وها هم يخرجون من الصندوق مطالبين بالعدالة الاجتماعية !».

«كنت كي نحكي على التعليم في بلادي، ديما نقيس على أولادي، ولم أكن أعلم أنّ أبنائي ومن مثلهم من المتفوّقين هم الشجرة التي تخفي الغابة، وعندما كسّرها الحطّابة، اكتشفنا خلفها فراغا رهيبا، وعالما عجيبا: ناس تقرا وتروّح والعلم ربّي يجيبو، وناس تفركس على عشرة الحاكم والولي يدفع من جيبو : «دروس خصوصية، حتّى في المواد الثانوية، وعام «الباك» يلزمو ميزانية. والتعليم العالي ماكينة متاع تخريج عاطلين: نجّح، نجّح وربّي يعمل دليل ! لكن اليوم طفطف الهمّ ، وخرجوا البطالة م الصندوق يحبّو ع الخدم !».

« ولكي لا أطيل عليك يا صديقي، أعترف لك بأنّي كنت لا أعرف من البلاد إلا الفطشاطة، واليوم ظهر كلّ شي على بلاطة، إذ أخرج الصندوق كلّ الأعوار، ومن هذا الزلزال استر يا ستّار!».

ع.ل.

وهل من داع إلى إبرام اتفاقيات عدم اعتداء بين دول الخليج وبين إسرائيل؟

إنّ «المكر» المزدوج الأمريكي الإسرائيلي لا ينقطع عن العمل من أجل المزيد من التمكين لإسرائيل في المنطقة العربية، وقد جاءت الزوبعة التي أثارها هجوم جماعة الحوثي يوم السبت 14 سبتمبر 2019 بطائرات مسيّرة على مصفاتي شركة «أرامكو» في شرقي المملكة العربية السعودية، لتمنحه فرصة ثمينة جديدة لممارسة أساليب ابتزازه المادي والمعنوي المعهودة إذ عملت واشنطن وتل أبيب، اليد في اليد، على استغلال هذا الحدث الخطير، دون ريب، للتقدّم خطوات أخرى على طريق التطبيع بين دول الخليج العربية وبين إسرائيل، لا سيما وأنّ الرياض التي يبدو أنّ الهجوم أصابها بالرعب حاولت من تلقاء نفسها، وبتحريض أمريكي غربي إسرائيلي مؤكد أن تدوّله، وأن تجعل منه حدثًا يضاهي في خطورته هجمات 11 سبتمبر 2001 وأن تدفع الولايات المتحدة وحلفاءها الغربيين إلى ضرب إيران التي تواترت محاولات اتّهامها بإثباتات لم تأت وقد لا تأتي أبدا، بأنّها هي التي قامت بالهجوم وليست جماعة الحوثي.

• بقلم محمد إبراهيم الحصايري

في هذا الإطار بالتحديد يتنزّل إعلان الحكومة الإسرائيلية رسميا عن أنّها تقدّمت بمبادرة «تاريخية» الهدف منها إبرام اتفاقيات عدم اعتداء بينها وبين دول الخليج العربية.

وقد اختار وزير الخارجية الإسرائيلي يوم الأحد السادس من أكتوبر 2019، هذا التاريخ المفعم بالدلالات الرمزية، لينشر على حسابه في «تويتر» تدوينة أكّد فيها صحّة التقرير الذي كانت القناة الثانية عشرة الإسرائيلية بثّته ليلة الأحد عن هذه المبادرة حيث قال إنّه «قدّم في الآونة الأخيرة، بدعم من الولايات المتحدة، مبادرة سياسية لتوقيع اتفاقيات عدم اعتداء مع الدول العربية الخليجية»، وأضاف، أنّ «هذه الخطوة التاريخية ستضع نهاية للصراع بين الجانبين وستسمح بإطلاق التعاون المدني إلى حين التوقيع على اتفاقيات سلام»، وكأنّه باختيار التاريخ أراد أن يبرز «التطوّر الجوهريّ» الذي شهدته العلاقات مع دول الخليج التي كانت اضطلعت بدور محوري في حرب السادس من أكتوبر 1973 من خلال استخدامها سلاح النفط.

وقد أوضح الوزير الإسرائيلي أنّه أطلع بعض وزراء الخارجية العرب ومبعوث الإدارة الأمريكية الخاصّ إلى مفاوضات السلام في الشرق الأوسط جيسون غرينبلات Jason Greenblatt على المبادرة الجديدة أثناء زيارته الأخيرة إلى نيويورك للمشاركة في أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة، وأنّه سيواصل العمل على «تعزيز مكانة إسرائيل في المنطقة والعالم».

ووفقا لما جاء في تقرير القناة الثانية عشرة الإسرائيلية، فإنّ هذه المبادرة تهدف، علاوة على تنمية علاقات الصداقة والتعاون وتعزيزها بين الجانبين وفقًا لأحكام ميثاق الأمم المتحدة ومبادئ القانون الدولي، إلى اتخاذهما التدابير اللازمة والفعّالة لضمان منع القيام بأيّ خطوات تتعلّق بالتهديد بالحرب أو العداء أو العنف أو بالأعمال التخريبية والتحريض تجاه بعضهما البعض.

وهي إذ تأتي في خضمّ حالة التوتّر المستديمة بين إيران ودول الخليج العربية، فإنّها تندرج في إطار الجهود التي تبذلها إسرائيل من أجل تطبيع علاقاتها مع الدول الخليجية للوقوف معا في وجه الخصم الإيراني المشترك، ومن أجل التعاون على محاربة الإرهاب، مع التزام الجانبين بعدم الانضمام إلى أيّ ائتلاف أو منظمة أو تحالف ذي طابع عسكري أو أمني مع طرف ثالث، يكون موجّها ضدّ أيّ منهما، أو الترويج له أو مساعدته، وأن يتمّ حلّ أيّ خلافات قد تنشأ حول قضايا معيّنة أو فيما يخصّ شروط المبادرة عن طريق المشاورات.

وتجسيما لهذه المبادرة أكّدت القناة أنّ إسرائيل ودول الخليج العربية اتفقت على تشكيل فرق مشتركة لمناقشتها.

ويرى الملاحظون أنّ هذه المبادرة، إن كتب لها التجسيم فعلا، فإنّها ستشكّل حلقة أخرى من حلقات سلسلة التراجعات العربية المتتالية، وفي المقابل حلقة من حلقات سلسلة إنجازات السياسة الإسرائيلية «الاقتحامية» التي كان من بين أبرز مظاهرها خلال السنوات الأخيرة أنّ إسرائيل استطاعت:

•أن تقنع دول الخليج العربية بأنّ لها جملة من المصالح الأمنية والاقتصادية والدبلوماسية ←

التي يمكن أن تجنيها من ربط وتنمية علاقات إيجابية معها، وقد ساعدها ذلك على إطلاق بوادر تعاون مع عدد من هذه الدول على مستويات اقتصادية وثقافية وفكرية ورياضية وحتّى سياسية أحيانا.

•أن تقنعها أيضا بأنّ «كراهيتهما» المشتركة لإيران تقتضي إرساء تعاون خليجي إسرائيلي في مواجهتها، وهو أنفع لها من تأييد القضية الفلسطينية «الخاسرة».

•أن تستفيد من سياسة الرئيس الأمريكي غريب الأطوار دونالد ترامب المنحازة انحيازا كليّا لها في إعطاء دفع قويّ للتوجّه التطبيعي بينها وبين الدول العربية عموما والدول الخليجية خصوصا لا سيّما وأنّ هذه الدول تبحث عن إقامة تحالف إقليمي لمواجهة «التمدّد» الإيراني في المنطقة.

•أن تستغلّ حاجة دول الخليج لتأكيد ولاءها للولايات المتحدة لجرّها نحو المزيد من الخطوات التطبيعية، وينطبق ذلك بدرجات متفاوتة، ولأسباب متعدّدة، وبأشكال مختلفة عن دول الخليج الستّ دون استثناء بما في ذلك سلطنة عمان التي استضافت رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في نوفمبر 2018، في محاولة منها لاسترضاء واشنطن التي تنتقد موقفها من إيران وتعتبره مهدّدا للمصالح الأمريكية...

•أن تستثمر، في ترسيخ هذا التوجّه التطبيعي وفي دفعه إلى الأمام بروز جيل جديد من القادة الشباب في بعض الدول الخليجية ممّن لا ينظرون إليها نفس نظرة الأجيال السابقة، والأكبر سنّا، ويمكن ملاحظة ذلك في المملكة العربية السعودية وبالذات عند ولي عهدها الأمير محمد بن سلمان الذي يدفع في اتّجاه توثيق العلاقات السعودية الإسرائيلية بينما ما يزال والده الملك سلمان بن عبد العزيز يتمسّك بسياسة بلاده التقليدية التي ترتكز على مبادرة السلام العربية والتي تطالب بحل الدولتين مقابل قبول إسرائيل إقليميا.

•أن تغري دول الخليج بأنّها ستقاسمها تقدّمها التكنولوجي خاصّة في مجال الحرب الإلكترونية.

•أن تبدأ الانخراط معها في تعاون استخباراتي يستهدف حزب الله وإيران.

•أن تدفعها الى اعتماد خطاب إعلامي جديد يتبنّى بعض مقولاتها كالتشكيك في وجاهة حلّ الدولتين.

وإذا لاحظنا، فوق كلّ ما تقدّم، أنّ الرئيس الأمريكي غريب الأطوار دونالد ترامب دعا مؤخرا إلى ضمّ إسرائيل إلى التحالف البحريّ الذي نادى بتشكيله لحماية المِلاحة في مضيق هرمز، فإنّنا ندرك أنّ المبادرة الإسرائيلية المعلن عنها في السادس أكتوبر الجاري ليست سوى مدخل ستلج منه إسرائيل إلى المنظومة الأمنية العسكرية المراد تشكيلها، لا لتكون مجرّد عضو فيها وإنّما لتهيمن عليها، ولتصبح بذلك «حامية حمى» دول الخليج العربية بحكم ما تتوفّر من ترسانة أسلحة متطوّرة، ومن تفوّق تكنولوجي ومن دعم أمريكي مطلق.

ولعلّ هذا هو المخيف في هذه المبادرة التي إن كتب لها التجسيم وفق التصوّر والتخطيط الإسرائيليين، فإنّها سترهن إرادة دول الخليج وستجرّدها من حريّة قرارها وستكبّل قدرتها على التحرّك مثلما سبق لاتفاقيات كامب ديفيد أن فعلت بمصر...

والسؤال الذي يمكن أن نطرحه هنا هو: هل دول الخليج في حاجة فعلا إلى إبرام معاهدات عدم اعتداء مع إسرائيل؟

وهذا السؤال يستتبع سؤالا آخر هو: ألا يكون من الأجدر بدول الخليج أن تبرم معاهدة عدم اعتداء مع إيران التي كانت سباقة إلى اقتراح إبرام هذه المعاهدة منذ أواخر شهر ماي الماضي، وذلك حتّى تتمكّن من أن تضع حدّا لهذا الابتزاز الأمريكي الإسرائيلي الذي يزداد ضراوة يوما بعد يوم؟

إنّنا نأمل أن تتأمّل دول الخليج مليّا في السياسات التي انتهجتها على امتداد الأربعين سنة الماضية إزاء جيرانها العرب وغير العرب والتي كانت ثمارها مرّة مرارة العلقم، فلعلّ ذلك سيهديها إلى سواء السبيل..

م.ا.ح

عودة روسيا إلى المتوسّط ونهاية القطبيّة الأحاديّة

تتجلّى عودة روسيا إلى منطقة البحر الأبيض المتوسّط أساسا في تطوّرات الأزمة السّوريّة وتدخّل هذا البلد بقوّة السّلاح لتغيير مجرى الأحداث فيها في سبتمبر 2015.ومع تواتر تحرّكات البحريّة الروسيّة في مياه المتوسط منذ 2008 وتكثيف النّشاط الدبلوماسي الرّوسي لمنع التدخل العسكري الفرنسي - الأمريكي في سوريا بدأ الحديث في تقارير المحلّلين عن عودة روسيا إلى المتوسط. هذه العودة تجعلنا نستحضر انسحاب روسيا من المنطقة إثر زلزال انهيار الاتّحاد السّوفياتي الذي تلته عشرية التسعينات التي غابت فيها روسيا عن الساحة الدبلوماسيّة والعسكرية في المتوسط وفي الشرق الأوسط على وجه الخصوص .وكانت إحدى البوادر الأولى لاستئناف النشاط الروسي في المنطقة تتمثل في تعيين الرّئيس الرّوسي بوريس يلتسين للدبلوماسي افغيني بريما كوف في 1996 كوزير للشؤون الخارجيّة تمهيدا لعودة قويّة عل السّاحة.

• بقلم محمد لسير

لكنّ الإعلان الصّريح عن هذه العودة لم يصدر إلاّ بتاريخ 1999 حين أكّد رئيس الوزراء الرّوسي آنذاك Vladimir Poutine، أنّ روسيا أصبحت مؤهّلة لحضور بحري دائم في مياه المتوسط.ويندرج هذا الإعلان صلب سياسة الرّئيس الرّوسي الذي عبّر حال وصوله إلى الحكم عن عزمه على الارتقاء بروسيا من جديد إلى مستوى دولة عظمى، حيث شاهدنا إثر ذلك نشاطا متصاعدا لا فحسب على الصّعيدين الدّبلوماسي والعسكري في المنطقة بل كذلك على المستوى الاقتصادي. ولئن بدا اهتمام روسيا بالمتوسط كبيرا وسخّرت له إمكانيات هامّة إلاّ أنّه لا يشكّل مع ذلك حدثا مبتكرا من النّاحية التاريخيّة، إذ كان المتوسّط في نظر الحكّام الرّوس عبر التّاريخ فضاء اقترن جوهريًا بالرّغبة في فكّ العزلة الجغرافيّة عن روسيا منذ القرن الخامس عشر وكانت للامبراطوريّة الروسيّة طموحات عرقيّة ودينيّة تهدف إلى إقامة دولة «السلاف - الأورطدوكس» تمّ استبدالها لاحقا بالإيديولوجية الشيوعيّة عند قيام الاتحاد السوفياتي. إلاّ أنّ المنظور الجغراسياسي لم تتغيّر أهدافه الأساسيّة خلال الثلاثة قرون الماضية، وهي إضافة إلى فكّ العزلة الجغرافيّة، النّفاذ إلى البحر الأبيض المتوسّط ومن ثمّ إلى الشّرق الأوسط والمحيط الأطلسي. هذا المنفذ الاستراتيجي يبقى اليوم أساسيًا بالنّسبة إلى المصالح الرّوسيّة في المنطقة.

المصالح الروسيّة في منطقة المتوسّط

تتمثّل هذه المصالح في الرّهانات المرتبطة بوضع القوّة العظمى الذي تطمح إليه روسيا، وفي المصالح الأمنيّة والاقتصاديّة. أمّا بخصوص الرّهانات المرتبطة بوضع القوّة العظمى فإنّ وصول فلاديمير بوتين إلى الحكم كان عاملا أساسيًا في استئناف السياسة الروسيّة المتوسطيّة بأبعادها الثلاثة: الدبلوماسي والاقتصادي والعسكري. وقد أضفت موسكو على المتوسّط منذ 2001 صفة المنطقة الاستراتيجيّة ضمن عقيدتها البحريّة كما هو الحال بالنّسبة إلى البلطيق والبحر الأسود وبحر «أزوف». وتشير نفس العقيدة إلى رغبة موسكو في التشجيع على إقامة منطقة استقرار سياسي - عسكري وحسن جوار في هذا الفضاء. وترمي روسيا من وراء هذا الطّرح إلى الحضور بقوّة في هذه المنطقة الاستراتيجيّة وهو ما لا يتنافى مع إرث الإمبراطوريّة الرّوسية والاتّحاد السّوفياتي. هكذا يصبح المتوسّط فضاء للتّنافس مع القوّة الأعظم حيث دافعت موسكو منذ التّسعينات عن نظام عالمي متعدّد الأقطاب يضع حدًا للقطبيّة الأحاديّة ولسياسة التدخّل الغربي الذي تفاقم منذ ذلك التّاريخ (كوسوفو 1999، العراق 2003، ليبيا 2011، سوريا حاليا).

ومع إدراك روسيا لمحدوديّة قوّتها العسكريّة والاقتصاديّة وتشبّثها بضرورة الرّجوع إلى مجلس الأمن الدّولي في قضايا السّلم والأمن لإحباط ما أسماه Sergueï Lavrov وزير الخارجيّة الرّوسي بصفقات تغيير الأنظمة فإنّها تسعى إلى إحداث توازن قوّى بين الشرق والغرب يسمح بتعطيل السياسات الأحاديّة التعسّفيّة وبتحجيم النّفوذ الغربي الذي سُخّرت له نظريّات ومفاهيم جديدة مثل «مسؤوليّة الحماية» (R2P) التي تتيح التدخّل في شؤون الدّول. وتبرّر موسكو حضورها في المتوسّط في تصريح لـ Sergueï Lavrov بتاريخ 2013 قال فيه: « إنّ حضور روسيا في البحر الأبيض المتوسط يشكّل عامل استقرار بالنّسبة إلى المنطقة. وترى موسكو أنّ مفهوم «مسؤوليّة الحماية» الذي اعتمده الغرب انقلب إلى «عقاب» للشّعوب وأنّ التدخّل الغربي في عديد الأزمات لم يؤدّ إلى حلّها».

وبخصوص المصالح الأمنيّة لروسيا يجدر التّذكير بالجولة التي قام بها ايفغين بريماكوف وزير الخارجية الروسية في الشّرق الأوسط سنة 1996 والتي أكّد فيها أنّ المتوسط يوفّر لروسيا منفذا مباشرا لمنطقة الشرق الأوسط الاستراتيجية التي تقابلها الواجهة الجنوبية الرّوسية غير المستقرّة. وإنّ أيّ شكل من أشكال عدم الاستقرار في الشرق الأوسط يمكن أن يجد له صدى في هذه الخاصرة الرّخوة لروسيا. لذلك حظيت أحداث ما يسمّى بالرّبيع العربي جنوب المتوسّط منذ 2011 باهتمام كبير من قبل موسكو التي نظرت إليها بحذر وتخوّفت من أن تمتدّ موجة الإسلام الراديكالي عبر الشرق الأوسط إلى القوقاز الذي يعاني أصلا من عدم الاستقرار. ولموسكو قراءة خاصّة للثّورات الشعبيّة منذ ان اندلعت في بلدان جنوب المتوسّط حيث تحمّل بعض البلدان الخليجيّة جزءا كبيرا من مسؤوليّة هذه الثّورات وهو ما حدا ببعض الملاحظين الرّوس إلى وصف هذه الظاهرة في بداياتها بـ«الثورة الإسلاميّة الكبرى». ولفهم أسباب هذا الاهتمام الرّوسي بالثورات الشعبيّة العربيّة. يجدر التذكير بأنّ عدد المسلمين الرّوس يناهز الـ20 مليونا وهم يشكّلون مجموعة دينيّة كبرى في الفدراليّة ويتواجدون أساسا بمنطقتي القوقاز والفولغا أورال، لذلك يشكل تردّي الأوضاع في سوريا غير البعيدة عن القوقاز خطرا على الأمن الرّوسي وتشير الإحصائيات إلى أنّ عدد الرّوس الذين التحقوا بجبهات القتال في سوريا يناهز 2400 مقاتل تتوجّس روسيا من عودتهم واستعمال خبراتهم لدعم التمرّد في القوقاز وتعمل على التأثير في موازين القوّى في الشرق الأوسط بتوظيف الهلال الشيعي الذي يمتدّ من إيران إلى سوريا ولبنان عبر العراق ويشكّل منطقة عازلة معادية للعناصر السنيّة المتطرّفة المدعومة حسب موسكو إيديولوجيًا وماديًا من داخل منطقة الخليج.

كذلك لم تغب المصالح الاقتصاديّة عن اهتمامات السّياسة الخارجيّة الروسيّة، ويذكر أنّ الرّئيس بوتين قام بجولة في الشّرق الأوسط في أفريل 2005 رافقه خلالها مدير الشركة المصنّعة لطائرات MIG الحربيّة ومدير الوكالة الفيدراليّة لتصدير الأسلحة لكنّه في زيارته إلى المنطقة في 2007 حرص على أن يكون مرفوقا بوفد هامّ من رجال الأعمال الممثّلين لشركات كبرى مثل Rosatom (طاقة نوويّة) وRoussal (المنيوم) والشركة الماليّة Sistema وLoukoil وGazprom (النفط والغاز) وRZD (سكك الحديد).

وفي جوان 2009 زار الرئيس Dmitri Medvedev مصر ومعه وفد يتكوّن من 400 رجل أعمال من ضمنهم Boris Ivanov مدير Sergei Kirienko وGazprom International رئيس Rosatom وهو ما يؤكّد بوضوح توظيف السياسة الخارجية الروسيّة لقطاعين أساسيّين في الاقتصاد الروسي هما صناعة السّلاح وقطاع الطاقة لتعزيز الحضور الروسي في المنطقة. وتعدّ روسيا من أكبر المصدّرين للسّلاح في العالم إذ حققت Rosoboron Export (الوكالة الفيدراليّة لتصدير الأسلحة)، مبيعات ناهزت 13 مليار ←

دولار في 2016، وتلقّت طلبات تقدّر بـ38 مليار دولار أي ما يقارب ثلاثة أضعاف صادراتها في 2016 ولم تكن صناعة السّلاح الروسيّة لتنجو من الإفلاس في تسعينات القرن الماضي لولا صادراتها.

وقد ورثت روسيا عن الاتّحاد السوفياتي علاقات وطيدة في مجال التعاون العسكري والفنّي مع عديد البلدان في الضفة الجنوبية للمتوسط أهمّها الجزائر. ويعدّ بيع الأسلحة الرّوسية لبلدان الشرق الأوسط عامل ضغط وتأثير سياسي واقتصادي في منطقة تتميّز بعدم الاستقرار.

كذلك تعد روسيا قوّة كبرى في مجال الطاقة حيث تحتلّ مبيعات الغاز والنّفط ما يقارب 50% في الميزانيّة الفيدرالية و10% من الدّخل القومي الخام. ويلعب المتوسّط دورا أساسيا في هذا المجال إذ يشكّل الرواق الذي يمرّ منه القسط الأوفر من الغاز الروسي باتجاه أوروبا، الحريف الأوّل لروسيا. وقد تزايدت مخاوف روسيا من إمكانيّة سقوط النّظام السّوري بعد الإعلان عن اكتشاف مخزون كبير من الغاز في عرض السّواحل الشرقيّة للمتوسّط (قبرص، إسرائيل، مصر) إذ سيؤدّي ذلك حتما إلى بروز معادلة جديدة للطاقة في المنطقة قد يستثني المصالح الروسيّة. وهو ما يفسّر الموقف الحازم الذي اتّخذته موسكو إزاء الملف السّوري واستماتت في الدّفاع عنه.

ويذكر أنّ الرّئيس بشار الأسد رفض سنة 2009 إبرام اتفاق مع قطر لإنجاز مشروع قناة تضخّ الغاز القطري باتجاه المتوسّط والسّوق الأوروبيّة عبر المملكة العربيّة السعوديّة والأردن فسوريا مع إمكانيّة إيصال الغاز كذلك إلى تركيا. ويندرج رفض دمشق لهذا المشروع في إطار الرّهانات الاقتصاديّة والسياسيّة في المنطقة ومن منطلق العلاقة الوطيدة مع روسيا وإيران اللّتين تعدّان منافستين لقطر في مجال الطاقة بالتحديد إلى جانب الخلافات السياسيّة الجوهريّة المتعلّقة بالصّراع في سوريا.

حماية المصالح الروسيّة وعودة الأسطول البحري الرّوسي إلى المتوسّط

يجدر التذكير هنا بأنّ العقيدة البحريّة الروسية التي تمّ اعتمادها سنة 2001 تنصّ على اعتزام موسكو اتخاذ كافة الإجراءات الضرورية لضمان حضور البحرية الروسية على «المسرح المتوسطي» لأمد طويل. هذه العقيدة كما أشار إليها بوتين عندما كان رئيسا للوزراء في 1999 تهدف إلى تطوير المصالح الرّوسية وحمايتها أينما وجدت. والملاحظ أنّ نشاط البحرية الروسية قد تزايد كثيرا خلال العشرية الماضية حيث دأب الكرملين منذ 2008 على إرسال مجموعة بحريّة كلّ سنة إلى المتوسّط تتصدّرها حاملة الطائرات الوحيدة الأميرال Kouznetsov وقد ساهمت الأزمة السوريّة في تسريع وتيرة الحضور البحري الرّوسي في المنطقة. واختارت موسكو في جانفي 2013 شرق المتوسط لتنظيم أكبر التمارين البحريّة التي قامت بها روسيا في المنطقة وبدا الحديث بمثابة التمهيد لنشر مجموعة دائمة تمّ الإعلان عنها لاحقا وتعدّ عشر قطع يتمّ نقلها من البحر الأسود وتكون مهمّتها حماية المصالح الروسيّة في حوض المتوسط وكذلك في البحر الأحمر والقرن الإفريقي.

وفي سبتمبر 2013 عندما كانت الولايات المتّحدة الأمريكيّة وفرنسا تتهيّآن للقيام بضربات في سوريا عدلتا عنها لاحقا، بلغ تجمّع القطع البحريّة الروسيّة في المتوسط إحدى عشر قطعة تمّ جلبها من الأساطيل البحرية الروسية في البلطيق والبحر الأسود والمحيط الهادي وهو أكبر تجمّع لقطع بحريّة روسيّة على المسرح المتوسّطي منذ سقوط الاتّحاد السّوفياتي. هذا الحضور البحري المتزايد لا يقتصر رغم ذلك على المتوسّط بل يمتدّ إلى المحيط الأطلسي والمحيط الهادي إذ نظمت روسيا تمارين بحريّة مع أستراليا في السّنوات الأخيرة وفي المحيط الهندي حيث تشارك موسكو في المهمّة الدوليّة لمكافحة القرصنة وفي القطب الشمالي من خلال دوريّات على طريق الشمال. وتحتفظ روسيا بما يقارب ثمانين بارجة حربيّة في المياه العالميّة، لكن الأسطول الحربي الرّوسي يواجه تحدّيات عديدة أهمّها تقادم القطع الحربيّة التي يناهز معدّل عمرها 30 سنة وضعف الدّعم اللوجستي، لذلك أعدّت روسيا برنامجا للفترة ما بين 2011 - 2020 يسمح بتجديد الأسطول ويمكّن ترسانة البحر الأسود التي ترجع إليها قطع المتوسّط بالنّظر من الحصول على ما يقارب الخمس عشرة قطعة. أمّا بخصوص التحدّي اللّوجستي فتجدر الإشارة إلى أهميّة ضمّ شبه جزيرة القرم الأكرانيّة الاستراتيجيّة إلى روسيا في مارس 2014 وتأمين القاعدة البحريّة الروسيّة بمدينة Sébastopol حيث يشكّل ذلك أوّل مرحلة وأهمّ لبنة في سلسلة المواقع التي ستحتلّها روسيا لاحقا في المتوسط.

وفي هذا الإطار تعتزم روسيا تطوير ميناء طرطوس السّوري بصفته نقطة الارتكاز البحريّة الوحيدة في المتوسّط للبوارج الروسيّة بغرض إنشاء قاعدة بحريّة بحلول 2020، كما تعتزم تحسين البنى التحتيّة في اللاذقيّة (سوريا) حيث تطوّر روسيا قاعدة جويّة تعتبر المنفذ العسكري الثاني لها بالمنطقة. إضافة إلى ذلك أشار وزير الدّفاع الرّوسي في بيان له حول التسهيلات اللّوجستيّة إلى إمكانيّة اعتماد الوحدات البحريّة الروسيّة في المتوسّط على موانئ اليونان وقبرص والجبل الأسود لتقديم خدمات في هذا المجال. وقد تكون روسيا حققت أكثر من ذلك في علاقاتها الثنائيّة بدول المنطقة.

العلاقات الثنائيّة مع دول المنطقة

ما أنجزته الدّبلوماسيّة الرّوسيّة في علاقاتها مع دول المنطقة جدير بالإعجاب والتّقدير. فقد نجحت ولو بشروط في استمالة تركيا إلى صفّها في الملفّ السّوري الشّائك بعد أن كانت مناهضة تماما لموقفها الدّاعم للنّظام السّوري. بعد رسالة الاعتذار التي وجّهها أردوغان إلى بوتين إثر حادثة إسقاط الطائرة الرّوسيّة في 2015 رجعت العلاقات إلى نصابها بين البلدين. هذا التطوّر والرّغبة التركيّة في استئناف التّعامل مع روسيا لأنّها حسب أردوغان «تعدّ الطرف الأهمّ في محاولة إحلال السّلام في سوريا» أدّيا إلى قمّة St.Petersburg بتاريخ 9 أوت 2016 حيث واصل الطرفان المداولات حول الملفّ السّوري واتفقا على صيغة التّعاون الثلاثي الذي يجمعهما كذلك بإيران وهو ما يؤسّس لشبه تحالف تلعب فيه روسيا الدّورالأبرز.

ومرّة أخرى توظّف موسكو خبرتها في مجال الصّناعات العسكريّة لتعزيز حضورها، من ذلك أنّ الطرفين اتفقا على تجهيز تركيا بأحدث نظام صاروخي تركي (S-400) وهي بادرة أولى من نوعها لعضو في الحلف الأطلسي يستعمل السّلاح

الغربي ويلتزم نظريًا بعقيدة الحلف وتوجد على أرضه قواعد عسكريّة. هذا التطوّر الخطير وترّ العلاقات بين الولايات المتّحدة وتركيا وأثار عديد التساؤلات حول مستقبل عضويّة تركيا في الحلف.

وقد صرّح نائب وزير الصّناعات العسكريّة التركي إسماعيل دمير في هذا الإطار بأنّ تركيا «رغبت في التّعاون مع أعضاء الحلف الأطلسي، لكنّ النتائج لم تكن مرضيّة. ومن الضّروري أن تطوّر تركيا نظامها الدّفاعي الخاصّ بالتّعاون مع دول أخرى» إضافة إلى ذلك اتّفق الطرفان على إنجاز مشروع الغاز Turkish Stream والمشروع الاستراتيجي الخاصّ بإنشاء محطّة للطاقة النّوويّة في تركيا.

وفي قبرص أشار أحد الصّحفيّين إلى حدث غيّر حسب رأيه الواقع الجغراسياسي في حوض المتوسّط وأدّى إلى تصدّع في صلب الاتحاد الأوروبي لكنّه في نفس الوقت برهن على تفوّق أسلوب وفاعليّة الدّبلوماسيّة الرّوسيّة. يتعلّق الحدث بتمكين البوارج الروسيّة من استعمال الموانئ القبرصيّة وتخزين التّجهيزات والموارد الضروريّة فيها بغرض التعهّد والإصلاح. هذا الاتّفاق الذي أبرمه الرّئيس القبرصي ضمن جملة من الاتّفاقيات الأخرى خلال زيارة لموسكو في نهاية شهر فيفري 2015 يضمن الحضور التكتيكي للأسطول الرّوسي في عدّة مسارح عمليّاتيّة متوتّرة. مرّة أخرى تسجّل روسيا نجاحا دبلوماسيًا في عقر دار الاتّحاد الأوروبي والحلف الأطلسي ناهيك عن تحوّل قبرص إلى جنّة ضريبيّة لرؤوس الأموال الرّوسيّة المهرّبة التي بلغ حجمها 43 مليار أورو في 2012.

وبخصوص مصر، فقد اغتنمت موسكو الفراغ السياسي الذي تركته الدّبلوماسيّة الغربيّة في هذا البلد للرّجوع بقوّة على السّاحة المصريّة وتطوير تعاونها مع أكبر بلد عربي في المجال الأمني والعسكري على وجه الخصوص. وبعد أن أبرمت صفقات هامّة معها في 2015 لتزويدها بالسّلاح بلغت 5 مليار أورو ولتعصير صناعتها العسكريّة، دخلت موسكو في مفاوضات مع المسؤولين المصريّين لتسخير قواعد عسكريّة مصريّة خاصّة منها القاعدة البحريّة والجويّة بسيدي برّاني. هذا التّقارب وجد صدى إيجابيًا على الصّعيد الدّبلوماسي حيث يلاحظ تطابق رؤى بين البلدين حول ملفّي سوريا وليبيا (دعم المشير حفتر). وفي ليبيا يتردّد في الدّوائر الإعلاميّة أنّ الرّئيس بوتين سيجعل من ليبيا أولويّة بعد الملفّ السّوري. يأتي هذا بعد اللّقاء الذي تمّ بين المشير خليفة حفتر وضباط روس على متن حاملة الطائرات Amiral Kouznetsov يوم 11 جانفي 2017 في عرض ساحل طبرق والحديث الذي تمّ بنفس المناسبة مع وزير الدّفاع الرّوسي سرغاي شويغو.

وقد اتّفق الطرفان إثر ذلك على إعادة تنشيط التّعاون الفنّي العسكري الذي كان قائما قبل سقوط القذافي. وتجري حاليًا مفاوضات لاقتناء أسلحة بقيمة مليار ونصف أورو تتمثّل في طائرات حربيّة ودبابات وأنظمة دفاع جوّي لإعادة هيكلة الجيش اللّيبي. مقابل ذلك يترغب موسكو في الحصول على تسهيلات لأسطورها البحري وهو ما سيمكّنها من موطئ قدم في غرب المتوسّط يدعّم حضورها في سوريا وقبرص ومصر. أمّا الجزائر فتبقى شريكا تقليديًا واستراتيجيًا لموسكو وقد صرّح بوتين في 2008 عند استقباله الرّئيس بوتفليقة أنّ «الجزائر تعدّ الحليف الأساسي لروسيا لا فحسب في شمال إفريقيا لكن كذلك في كامل الحوض المتوسّطي». وقد تحصّلت الجزائر في السّنوات الأخيرة على أكثر الأسلحة الرّوسيّة تطوّرا (S-300- SU-34) وتواصل التعويل أساسا على السّلاح الرّوسي لتجهيز جيشها حيث تخصّص مبالغ مرتفعة لهذا الغرض. وتشير الإحصائيات إلى ارتفاع الاعتمادات لتصل إلى 16 مليار دولار إلى موفّى العشرينات من هذا القرن.

وبخصوص المغرب، فإنّ التّعاون العسكري مع روسيا يعدّ حديث العهد حيث انطلق في سبتمبر 2013 مع انعقاد أوّل لجنة فنّية، وقد اقتنى المغرب دبابات من طراز T72 ومنظومات دفاع جوّي من نوع Tunguska لتنويع مصادر تزويده بالسّلاح والانفتاح أكثر على السّوق الروسيّة. وعبّر المغرب كذلك عن رغبته في اقتناء منظومات من المضادّات الجويّة الروسيّة مع إمكانيّة التزوّد كذلك بغوّاصات روسيّة من نوع Lada. وتجدر الإشارة أيضا إلى إعلان الشراكة الاستراتيجيّة المعمّقة بين البلدين الذي تمّ بتاريخ 16 مارس 2016 خلال زيارة الملك محمد السادس إلى موسكو.

هذه النّجاحات التي حقّقتها روسيا في المنطقة تجعل منها رقما صعبا وشريكا أساسيًا في حلّ النّزاعات في المنطقة. ولم تكن عودة روسيا إلى المنطقة المتوسّطيّة لتتحقّق بهذه السّرعة لولا الحنكة الدّبلوماسيّة والتوظيف الأمثل للترسانة العسكريّة الرّوسيّة.

رجل الدّولة الألماني الشهير فون بيزمارك قال يوما: «الدّبلوماسيّة بدون قوّة كالموسيقى بدون آلات موسيقيّة». وقد نجحت موسكو في استخلاص العبرة من هذه المقولة بتوظيف قوّتها العسكريّة لتحقيق أكبر النّجاحات الدّبلوماسيّة.

أصبحت روسيا بحكم عودتها اليوم إلى مربّع الدّول الفاعلة على الصّعيد الإقليمي مرشّحة للعب دور أساسي في إرساء النّظام العالمي المتعدّد الأقطاب الذي تطمح إليه إلى جانب دول كبرى أخرى كالصّين والهند والبرازيل ... وهو ما من شأنه أن يعدّل العلاقات الدّوليّة ويضع حدّا لنظام القطب الواحد الجائر.

م.ل

برج الضيافة بصفاقس
لمن يبحث عن الطابع المميّز

ارتقى نزل برج الضّيافة بصفاقس وهو من فئة 5 نجوم إلى ترتيبه ضمن مجموعة »النّزل ذات الطابع المميّز« Hôtel de Charme من قبل وزارة السياحة إقرارا بخصائصه الفائقة وتتويجا لمجهود تطويري مكثف. وتشترط الوزارة لمنح هذا التّرتيب العالي، المحافظة على المقوّمات المعمارية والتاريخية العريقة للبناية وإسداء خدمات مشخصة تخضع لقواعد التّصرف الفندقي المحدّدة وذلك وفق القرار الوزاري المؤرّخ في 29 جويلية 2013.

كلّ هذه المتطلّبات وأكثر تتوفّر بامتياز في برج الضيافة الذي يقع على بعد 10 دقائق فقط من وسط المدينة والمطار في نفس الوقت وامتزجت هندسته المعمارية بالطّابع العربي الأندلسي وازدانت فضاءاته بتناغم المرمر مع النّقوش فيما أثرته قطع الأثاث الأصيلة والتّحف بجماليّة رائعة، وتبقى كلّ أرجائه على اختلافها، من مقهى ومطاعم وقاعات اجتماعات وغرف إيواء، في أبهى مظاهر الضّيافة. وبقدر ما يشتهر برج الضّيافة بحسن القبول وكرم الوفادة، فإنّ مطاعمه تقدّم أرقى الأكلات من اختصاصات صفاقسية أصيلة وأطباق إيطالية أوروبية وغيرها،يحرص على إعدادها أمهر الطّهاة. وتوفّر غرف برج الضّيافة الفسيحة الإقامة المريحة للأفراد بكلّ مرافق الرفاهة والخدمات، فضلا عن 60 شبكة تلفزيونية بستة لغات مختلفة والترابط بالانترنيت.

السرّ في برج الضيافة هو الحرص على أدقّ التّفاصيل والتّفاني في خدمة الزّائر وهو ما يثابر عليه كلّ العاملين في النزل، من الاستقبال إلى الإدارة العامّة، وفق معايير دولية حصلت على شهادة إثبات في الجودة من صنف9001 ISO و22000 ISO وتكمن دقة التفاصيل حتّى في تخصيص عون يتولّى ركن سيّارة الحريف بمأوى السيارات وأيضا مضيّفة تعتني باستقبال الحريف إلى حدّ إيصاله باب غرفته حيث وضعت على ذمته تشكيلة من الحلويّات الصفاقسيّة وسلّة فواكه طازجة وقارورة ماء معدني وكذلك نوعية موادّ عالية الجودة للتجميل والاستحمام، إلى جانب العديد من الخدمات المتميّزة الأخرى.

ومن المهمّ الإشارة إلى أنظمة السّلامة والحراسة التي أرساها النزل مما جعله الأكثر أمنا في الجهة، الشيء الذي يشجّع، فضلا عن الخدمات الراقية المسداة من قبل النزل، أكبر المؤسسات العالمية وكبرى شركات النفط على اختياره لإقامة أفرادها. للسياحة وللأعمال يبقى برج الضيافة، خاصّة بعد ارتقائه إلى مجموعة النزل ذات الطابع المميّز، الوجهة المثلى لكلّ من يزور صفاقس إذ ينعم بطيب الإقامة في فندق يجمع بين التراث المعماري الأصيل ورفاهة الغرف، ومرافق قاعات الاجتماعات وألذّ الأطعمة والأكلات.

برج الضيافة
Borj Dhiafa
HÔTEL DE CHARME

برج الضيافة نزل ذو طابع مميز
طريق سكّرة كلم 3 - 3052 صفاقس
الهاتف: 777 677 74 216+
الفاكس: 777 676 74 216+

كيف تعاملت الدولة التونسية مع ذوي الاحتياجات الخصوصيّة

من منتصف القرن التاسع عشر إلى ثمانينات القرن العشرين؟

• بقلم د. عادل بن يوسف

حسب التعداد العام للسكان والسكنى لسنة 2014 بلغ عدد الحاملين لبطاقة معوق في تونس 237 ألف شخص. وقد تطوّرت نسبة الأشخاص ذوي الإعاقة في تونس من 1.5 % سنة 2004 إلى 2.2 % من السكان سنة2014 موزّعين كالآتي: 43.9 % إعاقة عضوية و28.3 إعاقة ذهنية و11.7 % إعاقة سمعية و 10.7 % إعاقة بصريّة و5.1 % من متعدّدي الإعاقات. أمّا توزيع ذوي الإعاقة حسب الفئات العمرية فإنّ نسبة الأطفال الأقل من 14 سنة لا تتجاوز 0.71 % بينما تصل إلى 3 ٪ بالنسبة إلى الفئة العمرية من 15 إلى 59 سنة و 8 % بالنسبة إلى الفئة التي تتجاوز 60 سنة...

TUNISAIR vous accompagne vers de nouveaux horizons

Au départ de l'Afrique, TUNISAIR vous rapproche de l'Europe, du Moyen Orient et de l'Amérique du Nord, avec plus de 850 connexions par semaine via Tunis, au départ d'Abidjan, Alger, Casablanca, Constantine, Bamako, Dakar, Le Caire, Niamey, Nouakchott, Ouagadougou, Oran, Conakry et Cotonou.

GET CLOSER

tunisair.com

الخطوط التونسية
TUNISAIR

ولنا أن نتساءل كيف تعاملت الدولة التونسية مع ذوي الاحتياجات الخصوصية قبيل فترة الحماية ومنذ الاستقلال إلى غاية ثمانينات القرن الماضي؟

وضعية مزرية منذ الفترة الحديثة إلى نهاية الفترة الاستعمارية

بحكم التخلف التقني والطبي كانت الأوضاع الصحية للمجتمع التونسي جدّ متردّية لكثرة انتشار الأوبئة والآفات الطبيعية كالكوليرا والأوبئة بمختلف أصنافها والرمد وحمّى التعفّن... كما ساهمت كثرة الزيجات من نفس العائلة في تسجيل إعاقات كبرى لدى الناشئة...وفي غياب الأدوية والتلاقيح وقلّة الأطباء والمستشفيات بالمملكة التونسية أحدثت السلطات بعض المارستانات بالحاضرة وكبرى المدن مثل القيروان وصفاقس وسوسة...وتأسّس عدد من المستشفيات العصرية كالمستشفى الصادقي سنة 1875 (عزيزة عثمانة اليوم)...من طرف خير الدين الذي أوكل مهمة بعثه وإدارته لرئيس جمعية الأوقاف، المصلح محمّد بيرم الخامس...)، وعمل بها ممرّضون وأطباء أجانب غير أنّ مئات الأطفال والشبان والكهول والشيوخ كانوا يقضون حتفهم يوميا. لكلّ ذلك كانت نسبة وفيات الرضّع مرتفعة وأمل الحياة عند الولادة جدّ منخفض. ومن لم يقضَ من بين هؤلاء فإنّ الأمراض والأوبئة تخلّف لديهم إعاقات عضوية وبصرية وسمعية وذهنية كبرى.

ولم تكن توجد بتونس قبل الحماية الفرنسية مؤسّسات لاحتضان هؤلاء والمتقدمين في السنّ ورعايتهم غير «التكايا» (في القاموس العربي التكية وجمعها تَكايا ويقال قَضَى آخِرَ حَياتِه في تَكِيَّة، أي في مَلْجَإٍ لِلْعَجَزَة والْمُعْوِزينَ أو الْمُتَصَوِّفَة...)، سواء بالإيواء والإقامة الظرفية والدائمة أو الإحاطة بالحصول على الغذاء واللباس والدواء والمساعدة المادية وكانت تشرف على هذه التكايا الزوايا والطرق الصوفية وينفق عليها من عائدات الأحباس ومداخيل الزوايا والهبات الخاصّة وقد ظلت الأوضاع كما هي عليها إلى غاية الحماية الفرنسية.

تدشين مأوى التكيّة (20 مارس 1906) منذ إحداث جمعية الأوقاف على يد الوزير المصلح خير الدين التونسي سنة 1874 أصبحت التكايا وكل المرافق الاجتماعية التي تعيش من الأحباس من مشمولات هذه الجمعية الرسمية. وفي 20 مارس 1906 دشّنت الجمعية مقرّها الجديد بالمدينة العتيقة. وبهذه المناسبة ألقى زعيم حركة الشباب التونسي ورئيس جمعية الأوقاف، البشير صفر خطابا انتقد فيه أوضاع التّونسيّين البائسة وتدهور أحوالهم المادّيّة منذ انتصاب الحماية وعـــرض مطالبهم بكلّ دقة وجرأة بحضور المقيم العام الفرنسي بتونس المعتدل والمتفهّم لأوضـــاع التّـــونسيّين «ستيفـــان بيشون» (Stephan Pichon 1901-1907)... غير أنّ المعمّرين وغلاة الاستعمار من «المتفوقين» انتهزوا الفرصة لشنّ حملة لا هوادة فيها على المقيم العام الذي سرعان ما أطاحوا به.

وقد تواصلت الأمور كما هي عليه زمن الحماية حيث لم تقم السلطات الفرنسية ببعث مؤسّسات وجمعيات تعنى بذوي الاحتياجات الخصوصية واقتصر الأمر على بعض الجمعيات الفرنسية التي كانت لها فروع في كلّ من الجزائر وتونس والمغرب خاصّة بالكفيف أو خاصة بالأمراض السارية والمعدية والوراثية التي تخلّف إعاقات أو على جمعيات تُعنى بجرحى ومعاقي الحربين العالميتين الأولى والثانية. لكنّ هذه الجمعيات وفي مقدّمتها جمعية «Valentin Haüy» لم تكن تعتني إلا بالأوروبيّين، فيما يترك الكفيف أو المعوق التونسي بمختلف أنواع إعاقته لمصيره. وفي ظل هذا الوضع المزري كان الآلاف من فاقدي وضعاف البصر من الأطفال، بالأوساط الميسورة يُحبسون داخل البيوت ولا يتلقّون تعليما بالمرّة.

أمّا أبناء الفقراء منهم فكانوا بعد الكبر يوجّههم أولياؤهم للتسوّل أو لحفظ القرآن لتعليمه لاحقا للصبيان أو قراءته على الموتى في الدور والمقابر: ونادرا ما يتخصّص منهم في العزف أو الإنشاد الصوفي. وقد حرّت هذه الوضعية الكارثية في نفسية أحد المعلمين المتربصين من خرّيجي جامع الزيتونة بالمدرسة العربية- الفرنسية برأس الجبل منذ الأيام الأولى للتدريس في مطلع السنة الدراسية 1951 - 1952، المربي محمّد الراجحي (من مواليد 11 جوان 1925 بمعقل الزعيم) من خلال شقيقين من ضعاف البصر رفض مدير المدرسة الفرنسي السماح لهما بالدراسة بتعلة أنّ القوانين الفرنسية تمنع ذلك لكونهما معوقين « Invalides» ولا بدّ أن يزاولا دراستهما بمدرسة مختصّة. وفي العطلة الصيفية بدأ اتصالاته بالعاصمة بالسلطات وبمراسلة جمعيات مختصّة في فرنسا ودول أوروبا... للتعرّف على الأبجدية النقطية المعروفة بمنظومة لوي براي. وقد تلقى وثائق ونشريات في الغرض من فرنسا وسويسرا... ليشرع منذ السنة الموالية في تدريب المكفوفين على حذقها وتعلّمها باللغتين العربية والفرنسية لأول مرّة بتونس منذ سنة 1952 بمدرسته الجديدة الكائنة بنهج الدبدابة بدار الجلد بالحاضرة رغم كثرة الصعوبات والعراقيل التي وضعتها أمامه السلطات الفرنسية ودشّنها مدير التعليم العمومي الفرنسي «لوسيان باي «Lucien Paye» بنفسه. وفي سنة 1953 أسّس «جمعية الطالب المكفوف» لجمع شتات الطلبة المكفوفين بالجامعة الزيتونية وأدرج في سنة 1954 الاعتماد على النفس تحت عنوان «إرفَعْ رأسك أخي الكفيف» نظرا لكثرتهم (حوالي 200.000 شخص) وقد لقي الدعم من قبل عميد الصحفيّين الهادي العبيدي والعروسي المطوي والطالب بالزيتونة أحمد الحمداني المطوي... وأسّست الجمعية فرعا لها بصفاقس.

حكومة الاستقلال تهتمّ بذوي الاحتياجات الخصوصية

أولت حكومة الاستقلال اهتماما بأوضاع ذوي الاحتياجـات الخـاصّة ولا سيّما المكفوفين وقد تأسّس الاتحاد القومي للمكفوفين في 25 ديسمبر 1956 (الاتحاد الوطني للمكفوفين اليوم) بجهود من الأستاذ محمد الراجحي وحماسة العديد من رجال الفكر والمواطنين الوطنيّين ومُنحت له المصلحة القومية بمقتضى الأمر عدد 63 المؤرّخ في 25 جانفي 1961. ومن←

Ssangyong Tunisie
Ssangyong-Tunisie.com

Infoline: 70 130 130

AUTOMOBILES ZOUARI
CONCESSIONNAIRE / SAV VÉHICULES DE TOURISME

TUNIS - Rte de Sousse, GP1 Km7 2033 - Mégrine
Tél. : (+216) 70 130 070 - 70 130 060
Fax : (+216) 71 425 253

SOUSSE - Rte de ceinture, 4022 Z.I. Akouda - Sousse
Tél. : (+216) 70 130 040 - 70 130 050
Fax : (+216) 73 343 233

SFAX - Rte de Gabes, bvd de l'environnement, Km 2,5 - Sfax
Tél. : (+216) 70 130 020
Fax : (+216) 74 281 020

GABES - Rte de Tunis Km 0,5 BP 31 - 6001 Hached Gabès
Tél. : (+216) 70 130 090
Fax : (+216) 75 274 151

مهام الاتحاد تقديم الإعانة لجميع الأشخاص المقيمين بالبلاد التونسية المصابين بفقدان البصر كليا أو جزئيا دون تمييز والبحث عن الوسائل التي من شأنها أن توفّر لهم الشغل والثقافة وتنشئ لهم إن اقتضى الحال المؤسّسات اللازمة لهذا الغرض. ويتولّى الاتحاد تمثيل المكفوفين لدى السلط العمومية ولدى المؤسّسات الخاصّة ويعمل على ربط الصلة بالمنظمات الوطنية والإقليمية والدولية ذات الأهداف المشتركة.

وفي سنة 1962 نجح الاتحاد بفضل أمينه العام (بين 25 ديسمبر 1956 ونهاية سنة 1981) في تحقيق عديد الإنجازات تمثّلت في إحداث معهد النور للمكفوفين ببئر القصعة سنة 1962 وتخطيط وتنفيذ بناء معهد الكفيف بسوسة المتخصّص في التعليم الثانوي والتقني للمكفوفين سنة 1963 وتأسيس المطبعة الخاصّة بالأبجدية النقطية للخط البارز التي ساعدت على نشر الكتب المدرسية والخرائط الجغرافية البارزة سنة 1962 وإعداد الملتقى الإفريقي للنهوض بالمكفوفين بتونس تحت إشراف الرئيس الحبيب بورقيبة سنة 1963 علاوة على تأسيس المركز النموذجي للتأهيل المهني الزراعي للمكفوفين بسيدي ثابت سنة 1968 كما تمّ تنظيم المؤتمر الدولي لتأهيل وإدماج المعوقين بتونس تحت إشراف الرئيس الحبيب بورقيبة سنة 1966 وتأسيس المدرسة العليا للعلاج الطبيعي للمكفوفين سنة 1969 وتأسيس المدرسة العليا للترجمة الفورية والنقل للمكفوفين وإعداد المؤتمر الأوروبي – الإفريقي للتعاون بإشراف الرئيس الحبيب بورقيبة سنة 1973 وبعث المركز العربي للبحوث الإفريقية وإعداد الإطارات العليا المتخصّصة في إدارة المشاريع والنهوض بالمعوقين سنة 1974 وطبع القرآن الكريم ونشره بطريقة البراي لأول مرّة في العالم العربي والإسلامي سنة 1975 و وتمّ كذلك تأسيس الأكاديمية القومية لعلوم والتكنولوجيا للمكفوفين بناءً وتجهيزا بتونس سنة 1981 وتأسيس المصحّة المتنقلة للوقاية من أمراض العيون داخل الجمهورية سنة 1981. وأمام هذا التحوّل النوعي والإشعاع لتونس، قرّر الرئيس الحبيب بورقيبة تكليف السيّد محمّد الراجحي (الخبير الدولي في لغة براي في 14 دولة) بخطّة مستشار له بالديوان الرئاسي طيلة خمس سنوات مكلّفا بشؤون الكفيف وذوي الاحتياجات الخصوصية. كما أصبحت للاتحاد فروع جهوية لها بدورها فروع محلية تكون جميعها ملزمة بالعمل بما جاء بالنظام الأساسي للاتحاد. و للاتحاد وحدتا مواد التنظيف والفلاحة بسيدي ثابت ومدرسة العلاج الطبيعي للمكفوفين والجمعية التنموية للاتحاد الوطني للمكفوفين التي أحدثت في سنة 2001. كما تمتّع الاتحاد بأولوية ترويج منتوجاته للإدارات والمؤسّسات العمومية، ما لم تتجاوز أسعارها أسعار بقية المنافسين بنسبة 20 %. وكان الحبيب بورقيبة منذ أن كان رئيسا للحكومة يشرف بنفسه على كلّ تظاهرات الاتحاد القومي للمكفوفين ونداواته ومؤتمراته ويلقي كلمة بالمناسبة خطبا وكان يتحوّل بنفسه إلى مدرسة بئر القصعة ويلقي كلمة بمناسبة تدشين مبنى أو مطبعة أو مركز جديد... ويستقبل أعضاء المكتب التنفيذي للاتحاد في أعقاب كل مؤتمر يعقده. كما تمّ إقرار برامج وحملات وطنية من أهمّها: الحملة الوطنية لمقاومة الرمد ومشروع العصا البيضاء والاحتفال باليوم العالمي للعصا البيضاء يوم 15 أكتوبر من كلّ سنة وإصدار طابع بريدي في الغرض تعود مداخيله للاتحاد القومي للمكفوفين ...وباعتبارها إحدى مفاخر تونس استقبلت مدرسة النور ببئر القصعة جلّ الملوك والرؤساء الذين كانوا يزورون تونس ولنا في السيّد بديع زينون (كفيف لبناني شهير بكتاباته وعمله الاجتماعي لفائدة المكفوفين في العالم العربي) خير شهادة إذ كتب عن فترة دراسته بتونس قائلا: «... لم يكن الحال على هذا المنوال عندما مكثت في تونس للدراسة لمدّة سنتين بين العامين 84 - 85 حيث كنت أتجوّل وحدي دون أي خوف في شوارعها وأركب وحدي في حافلاتها ممتشقا عصاي البيضاء، فالناس في تلك البلاد منشئين منذ الصغر على احترام الكفيف وعصاه البيضاء فعلى سبيل المثال عندما أرفع عصاي البيضاء لقطع الطريق فإنّ كافة السيارات التي تسير في الشارع تقف حتّى أمرّ وإن ركبت الحافلة وحدي ينهض أكثر من راكب حتّى أجلس مع أنّ هناك أربعة مقاعد أمامية مخصّصة للمعاقين. وإن دخلت إلى مصرف أو مخزن كبير للبيـــع المعـــروف عندنا بـ (Super market) منفردا، يأتي أيّ موظف ليقول إسمي فلان، هل تريد أيّة مساعدة؟ الحقيقة أنّ كلّ الناس من صغيرهم إلى كبيرهم يحاورونك عندما يرونك منفردا في الطريق في تلك البلاد على ما رأيته في ذلك الزمان، ليت هذا يحصل عندنا !».

الجمعية التونسية لمقاومة العمى

أسّسها الدكتور الهادي الرايس (1909 - 1974) منذ 1956 وبعث مستشفى خاصّا بأمراض العيون بباب سعدون يحمل اليوم اسمه. ونتيجة لذلك أصبحت تونس قبلة للكفيف من دول عربية وافريقية مجاورة لمزاولة تعليمهم الثانوي والعالي.

الجمعية التونسية لمساعدة الصمّ: وهي جمعية خيرية إنسانية إسعافية ذات صبغة مجانية تُعنى بالأطفال الصمّ من الولادة إلى التشغيل. وقد تأسّست سنة 1970 وبعثت فروعها بالعديد من جهات البلاد نذكر من بينها فرع صفاقس سنة 1974 وفرع سوسة سنة 1980.

الاتحاد التونسي لمساعدة القاصرين ذهنيا: وهي جمعية لا تستهدف الربح وذات طابع اجتماعي، تأسّست في سنة 1967 ومن بين أهدافها المساهمة في التوقّع الأوّلي والثنائي والثالث للتخلف الذهني لدى الأطفال وتطوير نظرة المجتمع تجاه الأشخاص القاصرين ذهنيا وتعزيز اندماجهم ومحاربة الأفكار المكتسبة، والإبقاء على تطوّر الأنشطة الثقافية والرياضية والمسلية لصالح القاصرين ذهنيا وأفراد عائلاتهم...

الجمعية العامة للقاصرين عن الحركة العضوية: تأسّست في جويلية 1984. وهي جمعية خيرية غايتها إسداء خدمات اجتماعية وثقافية. وتهدف إلى تقديم الدعم الطبي و شبه الطبي و تعليم الأطفال وإدماجهم في الحياة المدرسية والمهنية وذلك من خلال خدمات تقدمها كالعلاج الطبيعي وتقويم النطق وتطوير النموّ الحركي والعلاج بالموسيقى والعلاج النفسي... وتخصّص أياما مفتوحة لبيع منتوجات أطفالها بكامل أنحاء الجمهورية....

ع.ب.ي

فائز في فئة الوقود

ELU PRODUIT DE L'ANNÉE
TUNISIE 2019
إنتخِبَ مُنتَج العام
من المُستَهلِك التونسي

*دراسة احصائية مستقلة على التجديد اجريت من قبل معهد المعدوي للدراسات على عينة متكونة من 2400 مستهلك تونسي.
Etude indépendante basée sur l'innovation réalisée par l'Institut El Amouri sur un échantillon de 2400 consommateurs tunisiens.

carburants
Agil X
Premium
Agil
À votre Service
إنتوما ختر تتوا الفاعليّة

«التّمييز الإيجابي» كلمــة حــقّ دستوريّة أريد بها «لامركزيّة» مسرحيّة

• بقلم فوزية بلحاج المرّي

ظاهرة تفشّت في الآونة الأخيرة ولم تشغل الرّأي العامّ، لأنّها ببساطة، تتعلّق بالشّأن الثّقافي والشّأن الثّقافي يبقى كعادته شأنا لا شأن له إلاّ من منظور المتعاطين له من مبدعين وفنّانين ومثقّفين. يتعلّق الأمر بإحداث المراكز الوطنيّة للفنون الدّراميّة والرّكحيّة بالجهات أي بمختلف ولايات الجمهوريّة. وقد كان عدد هذه المراكز منذ بداية إحداثها في أوائل التّسعينيّات وإلى حدود 2010، لا يتجاوز الثّلاثة وهي كلّ من مركز الكاف وقفصة والمركز الوطني لفنّ العرائس بتونس. فيما أصبح عددها يناهز العشرة في ظرف أقلّ من عشر سنوات. والملفت للنظر أنّ خمسة مراكز منها تمّ فتحها في الأشهر القليلة الماضية أي في فترة ما قبل الانتخابات حتّى لا ندّعي أنّ الحملة الانتخابيّة سبقت أوانها.

مرجعيّتان

تحضنان هذه الظّاهرة. الأولى ظرفيّة وهي تتعلّل ربّما بالفرض الدّستوري أو ما اصطلح على تسميته بالتّمييز الإيجابي فيما يتعلّق بالثّقافة وبحقّ المواطنين في كامل تراب الجمهوريّة في الثّقافة. أمّا المرجعيّة الثّانية فهي إيديولوجيّة باعتبار أنّ المراكز الوطنيّة للفنون الدّراميّة والرّكحيّة هي من سلالة منظومة الفرق المسرحيّة الجهويّة التي أينعت في السّتّينيّات وتهاوت صروحها في أواسط الثّمانينيّات.

التّمييز الثّقافي الإيجابي، حقّ دستوري

من المهمّ جرد وتقييم الأسئلة الحقيقيّة التي أدّت إلى إدراج اللاّمركزيّة المسرحيّة في مصطلح التّمييز الإيجابي. فالعودة إلى مطالب الجهات الثّقافيّة لا تظهر أيّ مطلب في خصوص الإنتاج المسرحي (ووظيفة الإنتاج هي الوظيفة الأهم والأوكد الموكلة للمراكز الوطنيّة للفنون الدّراميّة والرّكحيّة، قياسا مع وظائف التّكوين والتّوزيع والتّنشيط والنّشر وتطوير الفكر المسرحي من خلال النّدوات الفكريّة...). ذلك أنّ الجهات «المهمّشة» ثقافيّا أو المنسيّة، حدّدت شواغلها وحاجاتها الثّقافيّة عموما بنقص الفضاءات المهيّأة للعرض الفنّي بمختلف تصنيفاته المسرحي والسّينمائي والتّشكيلي والفرجوي عموما، كما طالبت بتأهيل الموارد البشريّة القائمة على الشّأن الثّقافي وطالبت أيضا بإتاحة الأطر الحاضنة للمواهب الفنّيّة لدى الفئات الشّابّة واستنطاق كوامن الإبداع لديها، تصدّيا للفراغ الرّوحي والفكري وتحصينا ضدّ ترصّد النّوازع المتطرّفة.

بعد 2014، أي بعد الانكباب على وصيّة التّمييز الإيجابي، وبالنّظر إلى اهتراء البنى الثّقافيّة التّحتيّة، نصبت ساحات للفنون في أغلب المناطق المهمّشة ودشّنت بصفتها فضاءات اعتباريّة مسخّرة للمبادرة الإبداعيّة المتطوّعة المتحرّرة والمفتوحة للعموم دون شبابيك تذاكـــر أو أيّ شـــرط من شروط الفضاءات النّظاميّة.

البادرة، وقد خصّصت لها ميزانيّة هامّة، قوبلت في حينها بحماسة كبيرة وبترحاب شديد.

هذا من قبل الطّاقات التي كانت تحتاجها لتنشط وتتفتّق. إلاّ أنّ عدّة أطراف ما لبثت أن استأثرت بها لتتحوّل إلى مآرب أخرى: مآوي للسّيّارات يسترزق منها أصحاب الشّهادات العليا وغيرهم من العاطلين عن العمل. وباستثناء بعض المبدعين والمنشّطين الذين طوّروا مبادرات لإحياء مدنهم وقراهم، فإنّ مصطلح ساحات الفنون مني بتشويه حقيقي لمدلولاته الدّستوريّة ومن النّاحية السّوسيولوجيّة حرّف مغزاه الثّقافي والاجتماعي بشكل يثير التّساؤل حول ما إذا وقع التّفكير بشكل جدّي ومحوكم اقتصاديّا ومعرفيّا وفكريّا قبل الاندفاع نحو هذه البادرة. فقد بيّنت تداعياتها أنّ العجلة التي وسمت إنجازها أحدثت خلطا بين الحاجات الاجتماعيّة للجهات المنسيّة وحاجاتها الثّقافيّة. إضافة إلى أنّ ساحات الفنون لم تستقطب الطّاقات البديلة التي كانت تستهدفها بل إنّها افتتحت على وقع الطّبل ذي المرجعيّة النّوفمبريّة التي ورثتها عن مرجعيّة سابقة لقافلة كانت تستريح من سيرها في محطّات الإعلام ما قبل النّوفمبريّة.

بالتّالي، لم يكن يذهب إلى الظّنّ أنّه حصّل ما في الصّدور وما في الأفكار وها قد أكّدته الانتخابات الرّئاسيّة في انتظار التّشريعيّة.

المناطق المنسيّة كان يمكنها أن تقبل بمبادرات تأهيل للفضاءات القارّة العموميّة والخاصّة أيضا يتيح لها توفير فرص للعرض الفنّي وللتّنشيط الثّقافي في ظروف احترافيّة تراعى فيها هيبة الفنّ والفكر ويحترم فيها المواطن وهو يرتادها.

المرجعيّة الإيديولوجيّة

رجوعا إلى البوادر التبشيريّة باللاّمركزيّة الثّقافيّة في العهد البو رقيبي، كانت ملهمتها تجربة الثّقافة «الحامية»(نسبة إلى الحماية الفرنسيّة). فإنّ مأسسة المسرح الجهويّ وهو سلف المراكز الوطنيّة للفنون الدّراميّة والرّكحيّة، يرشح بشيء من التّوق إلى ترويض العقليّات الجهويّة والعشائريّة واحتوائها إيديولوجيّا (تذكّروا الاعتصامات والمطالب الصّاخبة بالتّنمية والتّشغيل والمناوشات العشائريّة في أعقاب 14 جانفي).

التّداخل بين الإطار المرجعي للخمسينيّات والسّتّينيّات من جهة وبين العشريّة الثّانية في الألفيّة الثّانية، أمر ملفت من حيث أنّه يبرز استعمال اللاّمركزيّة المسرحيّة في ظرف يتّسم بالرّغبة في الحشد بل وفي الحاجة إليه.

الإطار الأوّل كان يرنو إلى احتواء المناطق النّائية بوصفها موارد بشريّة يمكن تطويعها للانخراط في التّجارب والخيارات الاقتصاديّة والسّياسيّة. أمّا الإطار الثّاني فيتخلّله استقواء الجهات المحرومة باستحقاق التّمييز الإيجابي ومطالبة كلّ منطقة بمركزها الوطني للفنون الدّراميّة والرّكحيّة. على أنّ السّؤال يطرح حول ما إذا كانت هذه المطالبة صادرة من تلك المناطق في حدّ ذاتها وكمجموعة من «المستهلكين» الثّقافيّين ومن المهتمّين بالشّأن الثّقافي أم إنّها مطالب صدرت عن مجموعة من الإطارات المسرحيّة التي طالب كلّ واحد منهم بإحداث مركز يديره ويشرف على شؤونه. يبدو على ضوء التّمشّي في إحداث هذه المراكز الأخيرة، أنّ مسألة اللاّمركزيّة المسرحيّة كانت مجرّد عنوان لعمليّة إحداث مواطن شغل لمسرحيّين يعيّنون في أغلبهم بجهاتهم، على خلفيّة من الصّخب الاحتجاجي والنّقابي. تلت ذلك عجلة على خطى الاستحقاقات الانتخابيّة.

هذا الزّبد. أمّا ما ينفع المسرح فالبحث جار عن برامج تسند هذه المراكز الوطنيّة وعن قوانينها الأساسيّة وعن سبل حوكمتها الإداريّة ووضع العاملين فيها من مسرحيين وإداريّين وأعوان...إلاّ بعض الاستثناءات وهي قليلة جدّا. فإذا استطاعت تلك التي تخرّجت من دفعة التّسعينيّات، أن تصمد وتثابر على نحت مسيرتها وصياغة مشاريعها رغم هشاشة إمكاناتها، فإنّ المراكز الجديدة تبدو في أمسّ الحاجة إلى استقصاء مبرّرات إحداثها واستكشاف علاقتها من عدمها بمصطلح التّمييز الإيجابي.

ف.ب.م

«فتريّة» : كوميديا سوداء تحاكي واقعا تراجيديا

رغم هيمنة الأفلام الدرامية على الإنتاج السينمائي في تونس، إلا أنّ الكوميديا استطاعت في السنوات الأخيرة أن تحجز لها مكانا قارّا ضمن أكثر الأفلام متابعة ومشاهدة من قبل الجمهور. ويأتي فيلم «فتريّة» للمخرج وليد الطايع ضمن هذا السياق الإبداعي وكجزء من هذه الموجة التي تسعى إلى تقديم رؤية فنية ناقدة للواقع المعاش بصورة فنية ساخرة.

• بقلم د. ناظم الوسلاتي

الفيلم

الذي تدوم مدّة عرضه 79 دقيقة، جمع ثلّة من خيرة المسرحيين التونسيين، على غرار الفنّان القدير عيسى حراث وجمال مداني وصباح بوزويتة والمتألقة ريم الحمروني، إلى جانب مصممة الرقص نادية سايجي.

شخصيات خيالية مستوحاة من واقع الحياة

بأسلوب طريف وفكاهي لا يخلو من السخرية والنقد اللاذع، يعود بنا فيلم «فتريّة» إلى حقبة زمنية مهمة في تاريخ تونس، تميّزت بعديد التناقضات والمغالطات في فترة حكم الرئيس الراحل بن علي. حيث تدور أحداث الفيلم في سنة 2004، تزامنا مع انعقاد أشغال القمّة العربية في تونس، حيث تتقاطع مسارات وحكايات خمس شخصيات رئيسية لا تلتقي إلاّ في المشهد الأخير من الفيلم، بعد أن يتمّ القبض عليهم من طرف أعوان الأمن.

تتنامى أحداث السرد بحرفية سامقة وسلاسة عالية، لتخبرنا عن عدّة مصائر وأقدار لخمس شخصيات مختلفة في الظاهر لكنّها تشترك في المعاناة والشقاء والبحث عن حياة أكثر أملاً وأقل قسوة، بعد أن عصفت بها المحن وتمكّن منها الإحباط والتشاؤم وتردّت أوضاعها الاجتماعية. فقد نجح الممثلون في أداء أدوارهم بعد أن تعمقوا في تجسيد الشخصيات، لنستشعر مآسيهم وآلامهم، وغربتهم حتّى داخل جلودهم، دون الوقوع في فخ المبالغة في التمثيل والإفراط في التعبير الزائد عن الحدّ، رغم خلفيتهم المسرحية. فهذا «عمار»(عيسى حراث) الرجل المسنّ الذي قطع شوطا طويلا للحصول على العلاج في أحد المستشفيات العمومية بالعاصمة، يتأرجح بين مكتب وآخر أملا في ملاقاة طبيب القلب، ولكن دون جـدوى، بعد أن رفض دفع رشوة لأحد الممرّضين واختار أن يتّبع الإجراءات العادية. وهذا «حمادي» فنّي كهربائي، يجد نفسه متورّطا في إصلاح شبكة الكهرباء القديمة والمعقّدة واستبدال الأسلاك المهترئة في إحدى العمارات الآيلة للسقوط بعد أن استعانت به «نزيهة» (صباح بوزويتة) أحد متساكني العمارة، وهي أرملة في العقد الخامس من العمر تعاني من حالة اكتئاب نفسي حادّ بعد أن تخلّى عنها زوجها وهاجر أبناؤها للدراسة في الخارج، لتجد في حمادي فرصة الأمل الأخير للخروج من حالة العزلة الاجتماعية والانطواء. وتلك «صالحة» (ريم الحمروني) شخصية غير تقليدية وغير مألوفة تسعى إلى كسب قوتها اليومي بكلّ الطرق لتأمين احتياجات عائلتها بعد أن قهرتها الأوضاع المتردّية، فتارة تجدها ضمن النائحات المتطوّعات لتشييع الموتى في الجنائز وطورا ضمن النساء المزغردات والمردّدات في حفلات الزفاف (بمقابل)، قبل أن تتحول لاحقا إلى بائعة للخمر خلسة وإلى ترويج المخدّرات، ومع ذلك فهي الأم المثالية التي تسهر على تربية ابنها والزوجة الداعمة والمساندة لزوجها على مواجهة مصاعب الحياة وضغوطاتها.

كما تسعى «نادية» (نادية سايجي) مصممة الرقص إلى تكثيف بروفات عرضها الراقص في ظروف صعبة نتيجة الضجيج الصاخب الصادر عن إحدى الحظائر العشوائية والتي هي على ملك رجل متنفّذ وشديد السطوة.

هذه الشخصيات الرئيسية في الفيلم هي نماذج من الواقع تكشف عن المعاناة الإنسانية اليوميّة التي رسمها المخرج بشكل كوميدي ساخر، ليستنسخ الواقع الاجتماعي والتربوي والثقافي (في تلك الفترة) ويعيد إنتاجه بمفارقاته ومعضلاته دون إسقاطات ودون الوقوع في فخّ المباشرتية الفجّة.

سيناريو متقن بإخراج استثنائي

«فتريّة» ومن معانيه ذروة الفوضى التي كانت تعيشها تونس (ورمّا لا تزال الأوضاع على حالها ولكن بشكل مغاير) في فترة ما قبل الثورة، هو فيلم مختلف من حيث الشكل الإخراجي، إذ اختار المخرج سرد الأحداث بالاعتماد على أسلوب «أفلام القصص المتفرّقة» (films à sketches) التي تضمّ في طيّاتها مجموعة من القصص، قد تكون لها سياقات مختلفة تماما أو تربطها بعض التداخلات والتقاطعات في الأحداث والأبطال. أربع حكايات مختلفة، تدور في يوم واحد وفي إطار مكاني وسياقات مختلفة تماما، جعلت من سيناريو فيلم «فتريّة» تحفة فنيّة بعد أن خرج عن المألوف وقطع مع النمطيّة في سرد الأحداث وفي بناء الشخصيات بعيدا عن أساليب المطّ والتطويل التي أرهقت النصوص السينمائية خاصّة في بعض الأعمال الكوميدية.

وقد نجح مخرج العمل في تطويع السيناريو والأبطال بعيدا عن التشتّت في الأفكار وعدم الاتّساق في وتيرة سرد الأحداث وذلك بالاعتماد على «توليف تناوبي»(montage alterné) ساهم في بسط الحبكة السينمائية وتقديم لقطات في شكل مجموعة من الفصول الدرامية (على طريقة تقسيم فصول المسرحية) مستقلّة بذاتها ويطبعها إيقاع تصاعدي وترتيب منطقي.

قصص متعدّدة يجمعها فيلم واحد، تطرح وتناقش مجموعة من القضايا والإشكاليات الاجتماعية في علاقة بمشكلة اهتراء المنظومة الصحية، وتصدع العلاقات الأسرية، واستفحال ظاهرة الفقر وانعكاساتها على الفرد والمجتمع، بالإضافة إلى الكشف عن الوضعية المزرية والمتردّية للفنان والفنّ بصفة عامّة...ليبقى الرابط الوحيد المشترك بين هذه الحكايات هو المعاناة والمُقَاسَاة والتهميش في ظلّ نظام كان ينكر هذا الواقع الاجتماعي والثقافي البائس.

نجح مخرج العمـل في رسـم هيكل الفيلم وأحداثه وفي تحـريك الكاميرا بسلاسة لرصد مسارات مختلف الشخصيات بتناقضاتها وتباين أفعالها دون التخلي عن بهجة الصورة وعمقها الإبداعي، كما تَوَفَّقَ في تكييف الشريط الصوتي ليجاري السياق الزمني للأحداث معتمدا في ذلك على آلات إيقاعية (الدربوكة والطبل) في إشارة إلى ظاهرة التملّق التي كانت سائدة في تلك الفترة، فضلا عن نجاحه في صياغة حوار تهكمي وهزلي بمفردات منتقاة بعناية من البيئة والثقافة المحلية.

الفيلم يقدّم لنا كوميديا مضحكة ولكنّها في نفس الوقت تستوقفنا وتحثّنا على التفكير وإعادة التقييم لحقبة زمنية مضت وتركت أثرا كبيرا في أذهان من عاشها، حتّى نستوعب الدرس ونعمل على التخلّص من حاجز الخوف لمواجهة الواقع الصعب وتذليل العقبات بدلا من القبول بسعادة مزيّفة تخفي وراءها كمًا من الآلام والمتاعب والخراب.

ن.و.

الجنـــرال حســـين

مـــن مملـــوك صغير إلى رجـــل دولـــــة كبير

• بقلم د. الحبيب الدريدي

يعتبر الجنرال حسين أنموذجا أمثل لصغار المماليك الذّين نالوا تعليما متينا وتكوينا عسكريًا وعلميًا عاليا فأظهروا من النّجابة والنّبوغ وأوتوا من رجاحة العقل والميل إلى الإصلاح ما مكنهم من لعب دور بارز في الحركة الإصلاحيّة التّي عرفتها تونس في النّصف الثاني من القرن التّاسع عشر. لا يُعرف تاريخ ميلاد الجنرال حسين على وجه الدقّة ، ولكن يبدو من خلال مراحل سيرته أنّه وُلد في عشرينات القرن التّاسع عشر أو قبل ذلك بقليل في قرية نائية من قرى بلاد الشركس شرقيّ تركيا ، وأنّه عاش حياة أهل تلك القرى الجبليّة ، وهي حياة شاقّة غليظة محفوفة بالمخاطر. ولعلّ تلك المعيشة الصّعبة منحته طبائع فطريّة في مواجهة المشاقّ والمثابرة على مغالبتها وأكسبته قدرا وافرا من المهارة والذّكاء في التّعاطي معها.

CHERY
FUN TO DRIVE
TIGGO 2

TIGGO 2

LAISSEZ-VOUS
SURPRENDRE
AU QUOTIDIEN

Showroom DISTRICARS Sfax : Rue Pavlov, Z.I Poudrière 1 Sfax
Tél. : +216 74 286 285 - Fax : +216 70 032 800
E-mail : contact@districars.tn
www.chery-tunisie.com

Showroom STA Tunis : Z.I Borej Ghorbel - 2096 Ben Arous Tunisie
Showroom STA Sfax : 30 Rue Taib Mhiri, Immeuble 4 Saisons
Tél. : +216 31 390 290 - Fax : +216 31 390 301
E-mail : contact@stautos.tn
www.chery-tunisie.com

STA
Société Tunisienne d'Automobiles

اختطفه

بعض المجهولين، وهو صبيّ، وفرّوا به إلى المنطقة الغربيّة من تركيا، وفي العاصمة إسطمبول تمّ بيعه إلى مبعوث باي تونس، فجيئ به إلى الحاضرة وألحق بجماعة المدرّسين المكلّفين بتربية صغار المماليك. فتحمّس لطلب العلم وأقبل عليه بشغف وأبدى تفوّقا وألمعيّة.

وصادف ختمه ذلك السّلك من التّعليم تأسيس المدرسة الحربيّة ببارْدو سنة 1840، فالتحق بها بتوصية من مدرّسيه الأوائل الّذين كانوا قد لاحظوا ما يتحلّى به من خصال ومناقب. وتلقّى بالمدرسة الحربيّة حديثة العهد تكوينا في مجال المعلومات العسكريّة النّظريّة والتّطبيقيّة وفي الآداب والعلوم الدّينيّة واللّغات الأجنبيّة فأقبل على التّحصيل مرّة أخرى إقبال الطّالب الشّغوف المتلهّف للمعرفة.

ولم يكن مروره بتلك المدرسة مجرّد مرحلة للتّكوين والتّعلّم فحسب، وإنّما كان منطلق نسج علاقات وطيدة بأبرز النّخب التّونسيّة آنذاك من مدرّسين وتلاميذ، فتوثّقت صلته خاصّة بأستاذ اللّغة العربيّة وآدابها محمود قابادو، وله في الجنرال حسين عديد شهادات الإعجاب والانبهار، وبزميله في المدرسة الحربيّة خير الدّين التّونسيّ الذّي سيجد فيه بعدئذ سندا في حركته الإصلاحيّة وسيُرافقه إلى آخر مسيرته.

تخرّج الجنرال حسين من المدرسة الحربيّة ببارْدو محرزا المرتبة الأولى ومزوّدا بثقافة واسعة ومؤهّلات عالية وبسمعة حسنة بما سيتيح له تبوّأ منزلة رفيعة ضمن النّخب الإصلاحيّة في عصره.

ولئن اكتفى في أواخر عهد المشير أحمد باي الأوّل (1837 - 1855) وطوال عهد المشير محمّد باي (1855 – 1859) بالارتقاء في المناصب العسكريّة والمدنيّة والنّجاح في ما يُعهد إليه به من مهامّ فإنّ نشاطه الكثيف صلب مؤسّسات الدّولة الحسينيّة وجهوده الإصلاحيّة الواضحة ستظهر على نحو بارز في عهد المشير محمّد الصّادق باي (1859 - 1882). إذ تمّت ترقيته سنة 1859 إلى رتبة أميرالاي وتشريكه في جميع المبادرات التّي يقوم بها القصر وذلك اعتبارا لثقافته الواسعة وحذقه اللّغات الأجنبيّة وما عُرف عنه من استقامة ونزاهة وجديّة.

وعلى هذا النّحو كُلّف صحبة الجنرال خير الدّين بالسّفر إلى إسطمبول في نوفمبر 1859 لإعلام الباب العالي بالتّغيير الحاصل على رأس الدّولة الحسينيّة حسب ما جرت به العادة وتقديم «هديّة الباي» إلى السّلطان العثماني والحصول على مصادقة الباب العالي على ولاية الأمير الجديد واقتراح ترقيته إلى رتبة مشير، وقد تحصّل في هذه الزّيارة على الصّنف الثّاني من الوسام المجيدي. كما عُيّن بعد أقلّ من سنة لمرافقة الصّادق باي في رحلته إلى الجزائر (سبتمبر 1860) لملاقاة الامبراطور الفرنسيّ نابليون الثّالث وذلك بفضل خصاله الدّيبلوماسيّة واطّلاعه على العادات الغربيّة، وقد عُهد إليه خلال هذه الزّيارة بالمراسم وتنظيم حفلات الاستقبال الرّسميّة والتّرجمة وإعداد المحادثات الثّنائيّة وفقرات الزّيارة. ونظرا لما أبداه في القيام بهذه المهمّة من كفاءة واضحة منحه نابليون الصّنف الثّالث من وسام الشّرف.

وقد كانت هذه المرحلة من مسيرته مرحلة زاخرة بالنّشاط مليئة بالكُلف والمهامّ، فقد أنشأ الباي في جويلية 1860 المطبعة الرّسميّة وبعث صحيفة للأخبار والوقائع سمّيت «الرّائد التّونسيّ» واختار الجنرال حسين للإشراف عليهما والسّهر على حسن انطلاق هذه التّجربة الثّقافيّة الرّائدة. وهكذا اقترن اسمه بحدث من أبرز الأحداث الثّقافيّة والفكريّة في تونس خلال القرن التّاسع عشر. وفي أوت 1860 عُيّن الجنرال حسين عُضوا في المجلس الأكبر المسمّى آنذاك بمجلس شورى الملك ، وذلك بعدما تمّت ترقيته إلى رتبة أمير لواء. وهو مع ذلك يترأّس مجلس الجنايات والأحكام العرفيّة، ويترأّس منذ 1858 المجلس البلدي←

JE PRÉVOIS... J'ANTICIPE.

Le contrat **DIRASSATY** vous permet de constituer une épargne sécurisée servie sous forme de bourse d'étude ou de capital, en vue d'assurer à votre enfant le financement de ses études ou de ses projets futurs à l'âge que vous aurez choisi à la souscription.
Plus de détails sur notre site internet.

DIRASSATY
BOURSE D'ÉTUDES

CARTE – VIE –

www.carte.tn

رسالة الجنرال حسين رئيس المجلس البلدي لمدينة تونس إلى الوزير الأكبر مصطفى خزندار

الحمد للّه أيّها الوزير السعيد ذو الرأي الرشيد أعزّ الله بحسن تدبيرك الدّين وجبر صدع المسلمين فإنّ عبدكم الداعي يتشرّف بإعراض معروض مجلس النظر في مصالح مدينة تونس المحروسة على مقامكم السامي صحبة هذا الرقيم بعد تقديم التحيّة المناسبة لجنابكم الفخيم ويرى نفسه سعيدًا حيث شرّفه الزمان و جعله في خدمة الساعين إلى أسباب العمران ولا يخفى على معلُومكم أدام الله عزّكم أنّ كلّ مملكة يتوقّف عزّها وشرفها على جملة مصالح عامّة وخاصّة فمن المصالح العامّة عمران البلاد بالحرث والزرع والبناء وتمهيد المسالك وإنشاء الجسور وتأمين الثغور وإقامة الجيش وتيسير أسباب المعارف والعلوم والمعاملات ومن المصالح الخصوصية ما يؤول إلى أبّهة الملك كإنشاء القصور واتّخاذ الحشم والمراكب وما شابه ذلك وربما اجتمعت المصلحتان معًا في أمر واحد وذلك كتعمير قاعدة البلاد وتنظيم شأنها وتسوية أمورها فإنّ المصلحة العامّة فيه هي إكساب أهلها أسباب الراحة و أمّا المصلحة الخاصة فلكون قاعدة المملكة للملك هي بمنزلة قصره الذي يسكنه فكلّما كان في القاعدة شيء يسرّ الناظرين فإنّما يعود إلى شأن الملك ويكسبه الحمد والثناء ولا يغربُ عن معلوماتكم الشريفة أنّه قد أصبح أكثر من ثلثي هذه المدينة خرابًا وأصبحت جدرانها أبوابا والتهدّم باد حول المساجد والمعابد أيحسنُ بنا سيدي أن نبقيها على هذه الحالة وأن نكل أمرها إلى يد ضعيف يعجزُ عن جمع بناءين ولا يظفرُ بالقليل من مداخيلها إلاّ بعد المُكابدة في الطلب شهرًا أو شهرين فهلاّ تعيّنونه بقوّة تناسب همّتكم العليّة وهلاّ يلتفتُ الملك إلى هذه المصلحة بالتفاتاته المرضيّة أوَ ليس اعتناؤه أدام الله دولته بهذه الأمور والحالة هذه أوكدُ من الاعتناء بالجيوش وإنّ ما يحصل من وجود خمسمائة عامل يعملُون في المدينة ما يكسبها العمران والنظافة من النفع لا يحصل بكثير من أوليك، قال بعض العملاء إذا أردت أن تعرف إلى أيّ درجة من التمدّن بلغ أحد الأجيال لتعلم مقدرتهم وعزّهم فلا ينبغي أن تنظُر إلى مصروفهم أو حصونهم أو مدافعهم أو مراكبهم أو عساكرهم أو زخارفهم فإنّ أحدّ العيُون نظرًا تُعشُّ وإنّما ينبغي أن تنظُر إلى أمارتين أكيدتين غير المذكور بل إلى ميزانين منزّهين عن الغش أوّلاهما التعليم العمومي أي سائر الصناعات والثانية كيفية المواصلة في المعاملات ثمّ قال فإذا شئت أن أخبرك بحالك فأطلعني على كم عندك في المائة ممّن لا يُحسنون القراءة والكتابة ولا الحساب ثمّ أخبرني بعد ذلك ما الوارد منك إلى غيرك؟ وما محصول بلادكم؟ ولا تقُل من هذه المدينة إلى تلك المدينة فإنّ المدن تُغلطُ البصر وإنّما قُل من هذه الضيعة هنا إلى تلك الضيعة هناك وإلى هذه القصبة التي أبصرُها هنا في سفح هذا الجبل بجانب هذا النهر على طرف هذه الغيضة انتهى كلامه وإنّما سيدي يشيرُ بهذا كلّه إلى أن الطريق إلى العمران هو عمل الطريق والخروج إلى الفسحة من المضيق فأرجوكم سيّدي أن تبذلوا همّتكم العالية في هذه المصلحة ولا تكلوني إلى عجزي وإنّ أحبّ الناس إلى الله تعالى من بذل همّته في مصالح العباد العامّة ومن بذل ساعة عمل في إصلاح شأن البلاد والعباد لاحق بالثناء والأجر ممّن يقضي يومه أو يُوهم أنّه يقضيه بالتسبيح والتقديس هذا وإنّ الله تعالى حضّ على العمل ورضي عن السعي وإنّ جميع من ولاّهم الآن أمور عباده ينظرُون إلينا نظر اللائم للمليم والمُعافى للسقيم فلا يصدنّكم سيدي بُعد المسافة عن المسير إذ كلّ أمر خطير لا يتمّ في زمن قصير والله يحفظكم سيدي ويرعاكم وييديمُ عُلاكم كتبهُ مُنهي أتمّ السلام لرفيع ذلك المقام مُقبّل الأيدي الكريمة عبدكم حسين أمير لواء ورئيس مجلس النظر في مصالح مدينة تونس المحروسة 12 في أشرف الربيعين من سنة 1275

المصدر: الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخيّة، الصندوق 55، الملف 606، الوثيقة رقم 1 (12 ربيع الأوّل 1275 - 20 أكتوبر 1858).

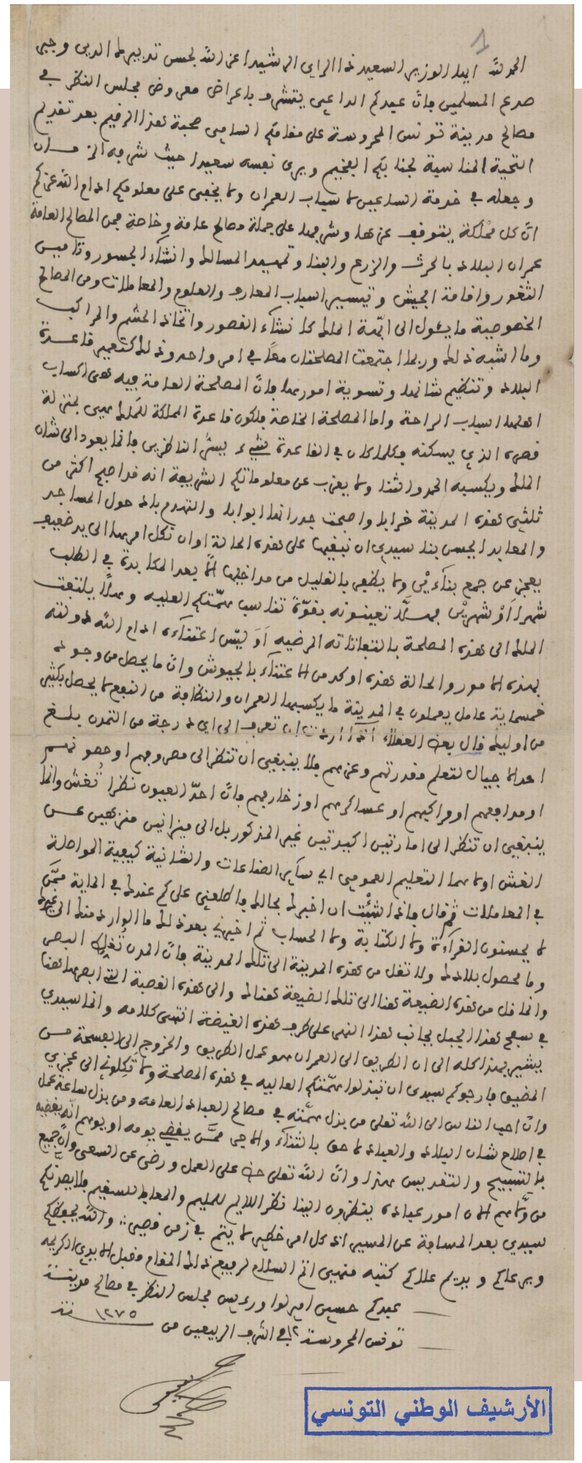

للحاضرة، وقد احتفظ لنا الأرشيف التّونسيّ بوثيقة نادرة وهي رسالة خطيّة وجّهها الجنرال حسين بوصفه رئيس المجلس البلدي لمدينة تونس إلى الوزير الأكبر مصطفى خزندار حول أهميّة التّجربة البلديّة النّاشئة آنذاك وضرورة دعمها، وقد صوّر في تلك الرّسالة ما نال مدينة تونس من خراب وتهدّم في دورها ومساجدها ومعابدها وما كان يشكوه المجلس من ضعف المداخيل وقلّة عدد العملة، كما صوّر حاجة أهلها إلى التّعلّم واكتساب الصّناعات . وقد تضمّنت هذه الرّسالة تصوّر الجنرال حسين لمقوّمات العمل البلدي ومحاوره الكبرى.

وعندما ترأّس خير الدّين التّونسيّ الوزارة الكبرى (1873 – 1877) تمّ تعيين الجنرال حسين وزيرا للمعارف والنّافعة (أي الأشغال العامّة) فأظهر في الاضطلاع بالمسؤوليّة الجديدة كفاءة ونجاعة بما أهّله للقيام بمهامّه على أكمل الوجوه والمساهمة بقسط وافر في تيّار الإصلاح الذّي قاده خير الدّين، حيث عمل على إصلاح التّعليم الزّيتوني ووضع نواة البرامج التّعليميّة للمدرسة الصّادقيّة التّي شارك في تأسيسها سنة 1875.

وفي أثناء ذلك كُلّف بمتابعة القضّية التّي رفعتها الحكومة التّونسيّة ضدّ القايد «نسيم شمامة» المتّهم باختلاس مبالغ طائلة من المال على حساب الخزينة التّونسيّة ، فتحوّل من أجل ذلك إلى مدينة «ليفورنو» ثمّ «فلورنسا» بإيطاليا، وكانت القضيّة قد تشعّبت وتمطّطت دون التّوصّل في شأنها إلى حلّ يُنصف الدّولة التّونسيّة، وصادف ذلك سقوط وزارة خير الدّين وصعود مصطفى بن اسماعيل المعروف بالخيانة والاحتيال إلى منصب وزير أكبر فقرّر الجنرال حسين الاستقرار بإيطاليا صحبة الشّيخ سالم بوحاجب الذّي التحق به هناك في شأن قضيّة نسيم شمامة.

ولمّا تخفّف من أعباء المسؤوليّات السّياسيّة والإداريّة انصرف أواخر حياته إلى التّجوال والرّحلات فزار تركيا وإنجلترا وفرنسا التّي أقام بها مدّة وزار معرضها الدّوليّ سنة 1878 وارتاد مكتباتها واتّصل بمثقّفيها . ثمّ عاد إلى إيطاليا فأقام بروما ثمّ بفلورنسا وهناك أدركته المنيّة سنة 1887، وكان خير الدّين آنذاك الصّدر الأعظم ثمّ رئيس المجلس الأعلى للعرش في الخلافة العثمانيّة فأشار بنقل جثمان الجنرال حسين إلى اسطمبول حيث سيدفن هناك بجوار ضريح السّلطان أحمد. فكانت نهاية مملوك جاء إلى تونس صبيًا وتعلّم فيها ونشأ شابًا لامعا، وخدم دولتها مصلحا متنوّرا، وغادرها دفاعا عن مصالحها.

ح.د.

المعادلة التونسية كيف نصنع المستقبل ؟ رؤية متكاملة 2030/20

ATL Leasing,
L'allié de votre succès

ATL LEASING

ATL Leasing, vous offre la possibilité de louer les biens dont vous avez besoin pour votre activité pendant une période pouvant atteindre 84 mois.
En fin de période vous en devenez propriétaire.

ATL LEASING

Plus qu'un leasing...

SIMPAR
ISO9001
Since 1973

RESIDENCE LA BRISE
Jardins de Carthage

Vous invite à découvrir son nouveau projet **"LA BRISE"** sis aux jardins de Carthage. Résidence **de très HAUT STANDING** abritant 17 appartements **S+1, S+2 et S+3** ainsi que **2 Duplex et** un grand parking sous sol.

45 ans EXPERIENCE

Pour plus d'informations, nous contacter au :

simpar@planet.tn
www.simpar.tn | SIMPAR
29 921 011 / 29 921 009

«المعادلة التونسية» هو عنـــوان لآخـــر ما أصدر الكاتب الصافي سعيد عن منشورات سوتيميديا (أوت 2019)، يمثّل رؤيته لمستقبل تونس 20/2030. ويبدو أنّ الكتاب نسخة جديدة ومعدّلة من كتاب مماثل أصدره الكاتب قبل خوضه الانتخابات الرئاسية سنة 2014 كان من منشورات عرابيا في نفس السنة وبنفس العنوان تقريبا «المعادلة التونسية : كيف نصنع المستقبل ؟ - الرؤية 25 / 30» طرح فيه أيضا رؤيته لمستقبل تونس .لكنّ الناشر لم يشر في تحديد طبعة الكتاب الجديد إلى أنّه نسخة ثانية من الكتاب السابق بل حدّد طبعته على أنّها الطبعة الأولى . وللصافي سعيد مؤلّفات أخرى (بلغت 21 مؤلّفا) تناولت شخصيات تاريخية وسياسية أو دراسات تتعلّق بقضايا أساسية تهمّ تونس والعالم العربي أو تحاليل سياسية واستراتيجية أو دراسات مستقبلية أو كانت روايات.

يقع هذا المؤلف الجديد الضخم في 513 صفحة موزّعة على مقدّمة وأربعة أقسام وهو يفتقر إلى خاتمة . تضمّ أقسامه 35 فصلا 8 منها في القسم الأول وخصّصه المؤلّف لتحليل الوضع القائم في بلدان الربيع العربي وخاصّة تونس وقدّم مقترحات لتغيير ذلك الوضع. وطرح المؤلّف في القسم الثاني الذي يشتمل على 11 فصلا فكرة الديمقراطية الجديدة وعلاقتها بالدولة واستعرض المظاهر التي تؤثّر في سلطة الدولة. أمّا القسم الثالث ذو العشرة فصول فركّز خلاله فيه رؤاه المستقبلية المتعلّقة بالديموغرافيا والدبلوماسية والتنمية والبيئة والإرهاب وثروات تونس الطبيعية وختم رؤاه بالإجابة في القسم الرابع الذي يحتوي على 6 فصول عن سؤالين مهمّين : هل أنّ تونس فقيرة فعلا؟ وما هي الآفاق بالنسبة إلى تونس 2030 ؟ صدّر المؤلّف كلّ فصل بملخّص لمحتواه في بضعة أفكار تيسّر قراءته وكانت 20 منها مشفوعة بنصوص مكمّلة أو داعمة أو شارحة لطروحات الكاتب وأغلب تلك النصوص من كتاباته السابقة والبعض الآخر لكتّاب مشاهير آخرين من العالم ولم يغفل عن إدراج نصّين يوثّقان مشاركته في ندوتين بدعوة من مؤسّسة عبد الجليل التميمي للبحث والمعلومات إضافة إلى وثائق إحصائية مختلفة. ويختم الكاتب كلّ فصل بقائمة المراجع التي اعتمدها في الفصل لتمثّل مرجعا للقارئ لكنّه لم يطبّق في تدوينها قواعد البيبلوغرافيا العلمية بدقّة.

ورغم أنّ عنوان الكتاب يشير إلى أنّنا أمام برنامج انتخابي مستقبلي لتونس إلاّ أنّه يصعب تصنيف الكتاب كذلك فقد تناول الصافي سعيد في هذا المصنّف الحالة التونسية من زاويتين متداخلتين، شخّصت الأولى السياق التونسي ضمن السياقات العربية والإقليمية والدّولية بناء على الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي عاشتها تونس وكيف أنّ القانون السائد فيها هو قانون الإفلات من العقاب حتّى أصبح الفساد وعدم العقاب ثقافة. وتناولت الزاوية الثانية استشراف مستقبل تونس إلى حدود سنة 2030 وما بعد ذلك. ومن خلال هذا التصميم يطرح المؤلف ما - أسماه - المعادلة التونسية التي من شأنها أن تنهض بتونس بعيدا عن الشعارات والتحزّب ويعرض رؤيته المستقبلية لتونس في علاقة بالقضايا الأساسية التي عاشها الشعب التونسي منذ ما قبل الاستقلال وصولا إلى فترة ما بعد ثورة 2011 وعلاقتها بالتحديات الوطنية والإقليمية والدّولية الراهنة مستثمرا في ذلك تجاربه الفكرية وحيرته الفلسفية ومغذّيا أفكاره بخلاصة تنقّلاته خارج تونس وزيارته عديد العواصم شرقا وغربا شملت البلدان النامية وكذلك البلدان الغربية المتقدّمة ومستلهما من كتاباته وحواراته الصحفية مع عديد الزعماء العرب مما أكسبه خبرة سياسية وثقافية وفكرية أطلقت العنان لتساؤلاته حول ماضي تونس وحاضرها ومستقبلها.

لقد انطلق الكاتب في تحليله الوضع القائم من الإطار الجيوسياسي الذي ساهم في ولادة الربيع العربي وأسباب ذلك وعلاقته بالصراع في الشرق الأوسط وبتحدّيات الإسلام السياسي واستنتج أنّ مراهنة الغرب على الإسلام السياسي أفرز حقيقة هي أنّ الإسلاميين «غير جاهزين ولا ناضجين للحكم» وأنّ الثورة بالنسبة إلى الحالة التونسية لم تقطع مع الماضي وتمّ الغدر بها فلم يؤل الأمر إلى قيام دولة جديدة ولا نظام سياسي جديد وأنّ السياقات الجديدة كشفت «عن توتر العلاقة بين النخب والشعب» في تونس وفي بلدان الربيع العربي واستنتج أنّ الثورة في تونس «ثورة بيضاء أنتجت دولة عرجاء....فشلت بسبب وصول تيّارات محافظة السلطة»، وأنّ الشعب اكتشف «أنّ الدستور قد لا يغيّر شيئا لأنّه كتبته الأحزاب .. ولأنّه لا يرى نفسه فيه» واعتبر أنّ الدستور «بدون استفتاء شعبي يبقى كومة من الألغاز والأفخاخ» واقترح الكاتب تنقيح الفصل الأوّل من الدستور على أساس أنّ تونس دولة مدنية مستقلّة نظامها جمهوري وشعبها دينه الإسلام . وأشار الكاتب إلى حاجة تونس إلى زعيم منقذ ونخب حكيمة وإلى ضرورة القيام بثورة سياسية ودعا النقابات إلى التخلّي عن التذمّر والاحتجاج وحثّها على التشجيع على بعث المشاريع الكبرى ذات الصبغة الاستراتيجية. لينتهي به المطاف إلى طرح المعادلة التونسية التي يقترحها لمستقبل أفضل لتونس.

يعرفها بأنّها معادلة السلم الأهلي والاستقلال السياسي والتنمية المتوازنة والمتدامجة والمسار الديمقراطي والعدالة الاجتماعية . وتتمّ المعادلة حسب الكاتب بإعادة الاعتبار للمعنى الموضوعي للوسطية الجغرافية لتونس ولموقعها الجيوسياسي المحوري ممّا يسمح للدولة بنظرة جديدة لكيفية استخدام الثروات وإعادة توزيعها بشكل عادل على المناطق باعتماد ما أسماه الكاتب التقسيم الإداري العرضاني (6 أقاليم مطلّة على البحر) وشدّد الكاتب على أنّ تونس تعاني من عجز في التحكّم في ثرواتها الطبيعية المتاحة والتي تبقى مجهولة الحجم بسبب غياب خارطة واضحة لها ودعا إلى أن تستردّ تونس سيادتها على ثرواتها الطبيعية والباطنية وأن تصبح مصدرا متقدّما في إنتاج الطاقة النظيفة كما دعا إلى اعتبار السياسة الخارجية رؤية مستقبلية للرهانات الكبرى التي تواجه تونس لبناء الأمن القومي الكبير مؤكّدا أنّ←

جيشا فعّالا ومحترفا هو العمود الفقري لقوّة الدولة ومناعتها. وأشار الكاتب إلى أنّ النظام الجمهوري مكسب لا بدّ من تحصينه ضدّ الاستبداد وشحنه بقيم الديمقراطية والعدالة وتطبيق اللامركزية في العمل لتصبح السلطة متقاسمة بين الأقرب والأبعد عن المركز. واقترح أن تتوجّه تونس إلى التنوّع الاقتصادي وإلى تحرير الإدارة من البيروقراطية وإلى إعادة تنظيم العاصمة وتأهيلها لتصبح قادرة على استيعاب تحوّلات المستقبل.

وانتقد المؤلّف الديمقراطية الحزبية ووصفها بأنّها تبعث على ترهّل أركان الدولة وعلى ظهور الإرهاب. وقال إنّ على تونس أن تعتني بالديمقراطية وتطورها وتحافظ عليها وتشحنها بالعدالة الاجتماعية وأن تتمسك بالقانون والمؤسّسات. وعرّج على فهم التونسيين للديمقراطية فقال إنّهم فهموها بطريقة خاطئة وبالتالي طبّقوها بطريقة خاطئة وسبب ذلك حسب رأيه أنّ كلّ الذين يسيّرون تونس حاليا ليسوا أبناء الثقافة الديمقراطية وأنّ من أتوا للحكم لم يأتوا في أغلبهم بطريقة ديمقراطية لكن أتوا بالتعيينات والقرابة والولاءات والتنظيم الحزبي . وأشار الصافي سعيد إلى أنّ تونس توجد اليوم في منعطف تاريخي دقيق وعليها أن تختار طريقها نحو المستقبل قبل أن تسير في الاتّجاه الخاطئ ممّا يحتّم عليها معرفة محيطها الإقليمي والدولي وكذلك إمكاناتها وثرواتها وموقعها مؤكّدا أنّ مستقبل تونس سوف تؤثّر فيه «الصدف والكوارث والمواسم الجيدة ومستوى الحوكمة والتخطيط والجيران والأصدقاء والأعداء والتحوّلات العميقة في الداخل والخارج ومدى الاستعداد لها والتكيّف معها مثل التحوّلات التكنولوجية والطلب المتزايد على الغذاء والماء والطاقة حتّى تكون تونس ما سوف تكون عليه بالإضافة إلى «تناثر الدولة التي قد تجد نفسها في صدام جديد مع الطبقة الوسطى في العقدين القادمين».

وحثّ المؤلّف الدبلوماسية التونسية، وفي إطار دفاعها عن مصالح الدولة، على أن تجعل من التعارضات أرضا للتسويات واعتبر الدبلوماسية الحقيقية هي تلك التي تخدم التنمية والأمن القومي. ودعا الحكومات التونسية المقبلة إلى أن تراجع علاقاتها مع أوروبا وتترك التبعية لفرنسا وأن تتّجه إلى روابط اقتصادية أخرى نحو الشرق (الصين وماليزيا والهند) ونحو الجنوب (إفريقيا) ببناء تعاون ثلاثي مع ليبيا والجزائر أطلق عليه تحالف الجغرافيا والطاقة والخبرة والمال، مشيرا إلى أنّ تونس تستطيع أن تصبح أكبر موانى جنوب المتوسّط وأن تبني أكبر مطار ترانزيت في شمال إفريقيا لتحصل على حصّتها من السياحة والتجارة في المتوسّط . وحذّر الكاتب من الديموغرافيا وأثر الكثافة السكانية على النموّ في تونس ودعا إلى البحث عن منوال جديد للتنمية بإعادة الاعتبار للقطاع الفلاحي ومضاعفة الاستثمار فيه لإنتاج الثروة والحفاظ على الأمن الغذائي والثروة المائية (الذهب الأزرق)، معتبرا أن تونس ليس لديها ماء ولكن لديها الشمس التي يمكن بها توليد الماء. كما تحتاج تونس حسب رأيه إلى الطاقة النووية لتحلية المياه وإلى وضع سياسة سدود. وأشار إلى أنّه لا تنمية بدون بيئة نظيفة. ووصف الديون بأنّها طاعون التنمية لأنّه ليس هناك تنمية تبنى على القروض التي يعتبرها طريقا للاستعمار والتحكّم في مستقبل البلاد .ولمواكبة التطورات التكنولوجية دعا الصافي سعيد إلى أن تنتقل تونس إلى نموذج مدن المعرفة والذكاء وجعله جزءا لا يتجزّأ في سياسات التنمية واقترح مدينتي قرطاج والقيروان لتحويلهما إلى مدينتين للمعرفة وإنتاج الذكاء في المغرب العربي عن طريق تشجيع الإبداع والتشارك والتجديد والتحديث بالتفاعل مع مواطنين من مدن أخرى .

وخلص إلى مقولة «تونس تستطيع» تحقيق ذلك لكنّ الحكومات السيّئة ومستوى الثقافة المتدنّي وعدم امتلاك الرؤية وسياسة الحدّ من الطاقات المبدعة هو الذي قاد إلى العجز والفشل الذي تعيشه تونس وجعلها لا تستطيع.كما أنّ تونس حسب رأيه قادرة على أن تقلع وتنهي علاقتها بخرافات الماضي لأنّها بالنسبة إليه ليست دولة فقيرة ولكنّها غنيّة بموقعها وثرواتها.

تتقاطع في هذا الكتاب ملامح الصافي سعيد السياسي والروائي والصحافي والمفكّر إلاّ أنّك بعد قراءته تجد صعوبة في تصنيفه فهو في نفس الوقت مؤلّف أدبي في لغته وأسلوبه الجذّاب وخياله وكتاب فلسفة في أفكاره وكتاب تاريخ الحضارة الإنسانية في مرجعياته وكتاب اقتصاد في طروحاته الاقتصادية وكتاب استراتيجيا في إسقاطاته وتصوّراته المستقبلية لذلك لم يكن مضمونه جافّا وإنّما امتزج بما يمتع القارئ ويثقّفه عندما يسافر به الكاتب ذهابا وعودة بين استنطاق الماضي وقراءة الحاضر في حكايات يكشف له فيها خفايا الأحداث ويريحه في النهاية من تعب تلك الرحلة بانجلاء المشهد المستقبلي الذي يصوّره له رغم أنّ المؤلّف لم يبوّب رؤاه ولا مضمون كتابه وفق مجالات محدّدة تفصل بين الواقع والمنشود لنجد تداخلا في المجالين في جلّ فصول الكتاب مع التركيز على الرؤية المستقبلية في القسمين الأخيرين. ولعلّ ذلك التراشح بين الأقسام كان سببا في عدم عنونة المؤلّف أقسام كتابه.

كما يشهد هذا الكتاب للصافي سعيد بثقافة موسوعية يرهق القارئ تتّبعها لكنّها تمتعه وتثري معارفه لتجعل من الكتاب وثيقة مرجعية مهمّة ووجيهة لكلّ سياسي يريد وضع برنامج مستقبلي لتونس فهو بمثابة النبراس الذي يضيء له الطريق إلى عوالم لا مهرب من دخولها لفهم الواقع دون أن نغفل انتماءاته وخياراته الأيديولوجية ألم يقل يوما : «أنا خلطة تمزج بين العروبة والإسلام والوطنية والاشتراكية والعدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان».

ونصل إلى انطباع في النهاية أنّ معادلة الصافي سعيد ثرية المضمون ينقصها التبويب المنهجي العلمي واقتراح طرق التطبيق على أرض الواقع الذي كان سيجعل منها وثيقة فكرية ومنهجيّة أيضا.

خالد الشابي

LA MATINALE 06:00 - 10:00
DU LUNDI AU VENDREDI

Durant 4 heures **Hamza Belloumi** entouré de **Mokhtar Khalfaoui**, **Mohamed Boughalleb**, **Houcem Hamad**, **Malek Jlassi**, **Zina Zidi**, **Hassan Zargouni** et **Amine Bouneoues** décryptent l'actualité : politique, économique, sociale, culturelle et insolite...
Rien n'échappe à la vigilance de nos matinaliers !
Le tout dans la bonne humeur !

ورقـــات من كتاب

ما دمنا نفكّر بطريقة تقليدية في التنمية وبطريقة قطاعية في التشغيل وبطريقة أكاديمية في احتساب نسب الاحتياطي النقدي بطريقة ديماغوجية في الديون الخارجية وبطريقة رعوانية في التجارة الخارجية، وما دمنا ننظر للدولة على أنها الأم الراعية وإلى بعض القطاعات كالسياحة والزراعة على أنها تابوهات لا يمكن الاقتراب منها فإنّنا نكون قد حكمنا على بلادنا بالتخلّف المؤبّد

ص 108 - 109

إن نجاح أية تنمية يعتمد على البحث العلمي والبرامج الكبيرة والمشاريع الكبرى والإدارة الفعالة والمستوى العالي للموظفين وتطوير نظام التعليم وتنويع فروع الاقتصاد والذهاب إلى إنتاج اقتصاد الذكاء اللامادي ، والبحث عن شركاء جدد وأسواق جديدة وضبط ساعات العمل والإنتاج والقدرة على التوقع وامتصاص الازمات المصدرة من الخارج وتعصير القوانين وتحيين الإصلاحات . وهذا كله من شأنه أن يرفع مرتبة تونس من الطبقة الوسطى في شريحتها الثانية في سلم بلدان العالم الثالث إلى الشريحة الأولى من الطبقة الوسطى عالميا في مدة زمنية لا تزيد عن ربع قرن من الآن ..وبلغة المؤشرات والأرقام من المحتمل أن تحقق نسبة نمو سنويا تزيد عن 8 % ليبلغ الدخل الفردي نحو 10 آلاف دولار. وهذا ما يؤهلها لكي تكون بلدا ينتمي إلى فئة البلدان التي تجمع بين الديمقراطية المستقرة والرفاهية المستمرة.

ص 371

إنّ سقف (8 مليارات أو 10 مليارات دينار) يمكن بلوغه عن طريق تفعيل قانون الضرائب (3 مليارات دينار) وإعادة تأهيل ومراجعة النظر في عقود الفوسفاط والغاز والبترول (نحو 5 مليار دينار). كما أنّ مكافحة التهريب بإمكانه أن يوفّر للدولة دخولات تتجاوز الـ 3 مليار دينار. أما التأشيرات على دخول الأجانب ورفع ضريبة الإقامة بالنسبة إلى الأجانب فمن شأنها أن توفر للدولة أكثر من 4 مليارات دينار (يمكن إعطاء التأشيرة في المطار كما تفعل معظم الدول بعد الدفع). أما الخدمات وخاصة الصحّة والتعليم فيمكن مضاعفة أسعارها بالنسبة إلى الأجانب المقيمين كما تفعل معظم الدول. على أنْ تنشيط التجارة الإقليمية وتنشيط السياحة والرفع من أسعارها يمكن أن تحقق أرقاما كبيرة تتجاوز الـ 4 مليارات دينار . كما أنّ إعادة النظر في صندوق التعويضات والدعم باتت ضرورية . أما إعادة النظر في كيفية وجدولة سداد الديون الخارجية فقد أصبح «مهمّة نضالية». فتعليقها لمدة تتراوح بين الـ5 و 7 سنوات أو تأجيل مواعيد سدادها بدون احتساب الفائدة أو إعادة دمجها في الاستثمارات من شأنها أن تجعل الحكومة التونسية تتنفس الصعداء من أجل وثبة كبرى في تحقيق التنمية ..

ص 385

إنّ مستقبل تونس السياسي هو الذي سيحدّد في النهاية مدى ديناميتها على الساحة الدولية. فإذا سارت التجربة الانتقالية نحو ديمقراطية تشاركية قويّة فإنّ البلاد قد تصبح قطب جذب نحو الاستقرار في منطقة تمتدّ من بلدان جنوب الصحراء إلى بلدان غرب آسيا أمّا إذا تحوّلت الديمقراطية التونسية إلى بازار كاذب فإنّها لن تستطيع أن تخرج من الشرنقة أو تحمي نفسها من الفوضى، علينا أن ندرك جميعا أنّ تجربة الإسلام السياسي قد مضت ومضى معها كلّ تعصّب وأنّ ما يسمّى بالإسلام السياسي قد بات مرفوضا من خلال التجربة سواء في الجزائر أو تونس أو مصر أو ليبيا أو سوريا أو حتّى فلسطين. لقد لعب الإسلام على الطبقات الدنيا من المجتمع إلاّ أنّ الطبقة الوسطى قد تصدّت له وأسقطته بأشكال عدّة. إنّ البراغماتية السياسية هي التي ربحت في بلاد الربيع العربي

ص 435

إنّ الاكتفاء بعلاقات باردة مع بلدان المغرب العربي والنأي بالنفس عن الشرق الأوسط وعدم الذهاب إلى إفريقيا ودول «البريكس» وعدم مراجعة علاقاتنا مع الاتحاد الأوروبي أو فرنسا فيما يتعلّق بالهجرة والإرهاب والمبادلات والديون. كلّ ذلك لا يشجّع على القول بأنّ تونس ستنطلق أو ستقلع باقتصادها وتنميتها. كما أنّ عدم إصلاح البنوك وعدم إصلاح قوانين الاستثمار وعدم فتح الملف الزراعي أو السياحي وعدم المساس بمنهجية التعليم ومضامينه هو أيضا لا يعطينا أيّ انطباع بأنّ هناك من سوف يتجرّأ على فتح كلّ هذه الملفات المحرّمة ....إن سيناريو الدولة الراكدة هو أن تعتقد أنّك تسير بينما أنت واقف فيما العالم الآخر هو الذي يسير ويتقدّم.

ص 506

Service E-Transfert QNB.
Effectuez vos virements bancaires
en toute sécurité.

QNB

Appelez le 36 00 40 00 ou visitez *qnb.com.tn*

«الصّمت في النّصوص المقدّسة»

يصدر عن دار الأمينة للنشر والتوزيع بالقيروان كتاب «الصّمت في النّصوص المقدّسة» للإعلامي والباحث الجامعي الدكتور الأسعد العياري، وقد جاء هذا الكتاب في طبعة أنيقة يحتوي على ثلاثمائة وعشرين صفحة تكشف صورة الغلاف عن فداحة فعل الصمت ورمزيته داخل نصوص مقدّسة يفترض أن تكون ناطقة ومتكلّمة وأكثر وضوحا واستحضارا للكلمة باعتبارها مادة لغويّة لسانيّة تشرّع لعلاقة جامعة بين عالم الشهادة وعالم الغيب وهي رسائل الله من عالم السماء إلى عالم الأرض، وتختزل مغامرة الوجود الإنساني في أبعاده الرمزيّة والتاريخيّة.فالنّص القرآني يستهلّ وحيه الإلهي بفعل «اقرأ» والقراءة هي وجه الكتابة الثاني، وقد تأسّس الإسلام على ما أوحى به إله المسلمين من كلامه إلى نبيّه محمّد، تقول سورة المزّمل»إنّا سنُلْقي عَلَيْكَ قَوْلا ثَقيلا» (5:73)، فالكلام ربّاني بلغة بشريّة هي لسان النبيّ محمّد. أمّا الإنجيلي يوحنّا فيفتتح إنجيله بعقد علاقة تباديليّة بين إله المسيح والكلمة، فالله هو الكلمة التي ألقاها الأب في فم ابنه وبالكلمة عبّر المسيح عن مشيئته بكلام بشري والكلمة منه وفيه» في البَدْء كانَ الكلمةُ والكلمةُ كان لدى الله والكلمة هي الله»(يوحنّا 1/1). وأمّا في اليهوديّة فإنّ «يهوه» إله العبرانيين تجلّى من خلال كلمته التي أعلنها على لسان أنبيائه، يقول سفر إرميا:» ثمّ مدّ يده ولمس فمي وقال لي الربّ ها أنا ذا قد جعلت كلامي في فمك» (1/9-10) .جميع هذه النّصوص إذن تستمدّ هويّتها من الكلمة وهي نصوص متفكّرة في انساقها من كونها تنبثق من الكلمة. فما الذي يجوّز لنا البحث في الصّمت في النّصوص المقدّسة ؟ وما هي المبرّرات التي تشرّع لنا استنطاق الصّمت المبثوث في متون هذه النصوص ومضامينها ومرويّاتها.

إنّ الإشكاليات الكبرى لهذا الكتاب تتحدّد في مفهومي الصّمت والنصّ المقدّس. فللصّمت في المباحث العربيّة تعدّد دلالي ومعنوي يشمل أحوال الإنسان والمكان، (إنسان صامت ومكان مليء بالصّمت والسّكون يغيب فيه الإيقاع والحركة).أمّا في المباحث الأعجميّة فكلمة silence ينحصر معناها في اتّصالها بالسكوت والامتناع عن الكلام على نحو ما أنجزه الباحث الفرنسي (Van Dan Haveul) من تأليف درس فيه ظاهرة الصّمت بين غياب اللّغة وحضور المعنى الضمني والخفيّ في كتابه، «Parole, mot, silence ; pour une poétique de l'énonciation » أمّا المفهوم الإشكالي الثاني فهو مفهوم النصّ المقدّس الذي هو في ظاهره كلام غيبيّ وفي باطنه مجازات لغويّة موجّهة للحديث عن الوضع البشري ومستويات وجوده على حدّ تعبير محمد أركون في كتابه «تاريخيّة الفكر الاسلامي»، ولعلّ مدارس علم الاجتماع وخاصة مع إميل دوركهايم Emile Durkheim قد مثّلت محاولات جادّة وجريئة في كتابه «les formes élémentaires de la vie religieuse» للتعبيرعن التداخل بين ما هو مقدّس غيبي وما هو دنيوي أرضي. وقضيّة الصّمت في النّصوص المقدّسة لم تحظ بما تستحقّ من الاهتمام في المباحث القديمة وفي الدّراسات الحديثة والمعاصرة رغم أهميّة هذا الموضوع في الدراسات ذات التوجّه الاجتماعي الأنثروبولوجي المنتميّة إلى عالم الأديان. هذا طبعا إلى جانب طرافة البحث في مفهوم الصّمت في نصوص مقدّسة لم تعد حكرا على فلسفة علم الأديان وتاريخها وإنّما أضحت هذه النصوص مادّة للمقاربات البنيويّة والتداوليّة والتأويليّة وكذلك أيضا مقاربات علم النفس التحليلي الفردي مع سيغموند فرويد وعلم النفس التحليلي الجمعي مع كارل قوستاف يونغ بمنطلقات مختلفة ومداخل عديدة تكشف عن وظيفة هذه النّصوص في التعبير عن أشكال المغامرة الوجوديّة التي يخوضها الإنسان ويؤسّس بها وعيه بذاته ووعيه بالعالم باعتبار أنّ المقدّس هو بعد من الأبعاد العديدة التي تؤسّس ماهية الإنسان. وهذا الكتاب ينقسم إلى ثلاثة أبواب كبرى متقاربة من جهة الحجم ومتباعدة من جهة رغبة الكاتب في توسيع دائرة البحث والتعمّق في جوهر مشروع المقاربة التحليليّة.

الباب الأوّل وعنوانه المفهوم والحضور والبنية،حدّد فيه الكاتب تعريفات الصّمت وحدوده البلاغيّة والبيانيّة في الدراسات الأدبيّة لأنّه مفهوم لا ينتمي إلى المباحث الحضاريّة الدينيّة .ووقف على الفوارق بين الصّمت والسكوت وعلى الخصائص الجامعة والمانعة بين المفهومين والدواعي التي تدفع إلى الامتناع عن الكلام ومنها دواع إراديّة مرتبطة باختيارات ذاتيّة وأخرى غير إراديّة وهي إلزاميّة تدخل في إطار الأمر الإلهي الملزم للإنسان، وهو ما مكّن الكاتب من دراسة بنية المسكوت عنه في دائرة المنطوق به من خلال السعي بين الصّمت والكلمة في نصوص الكتاب المقدّس والقرآن ، وهو ما ساعد على تحديد مصدر هذه النصوص هل هي كلام إلهي في لغة غيبيّة؟ أم هي كلام إلهي في معانيه وبشري في لغته؟ وإنّ مثل هذه الأسئلة قد حفّزت الكاتب لمعرفة الضمائر المتكلّمة في هذه النّصوص وهم المتكلّمون مع الله.

أمّا الباب الثاني من هذا الكتاب وعنوانه، نماذج من صمت النّصوص المقدّسة، فتخيّر الكاتب أن يكون بابا تطبيقيّا حدّد فيه مواطن السكوت لأنبياء اختاروا الصّمت بدل الكلام(النبيّ زكريّاء) ومواطن صمت هذه النصوص عن الذّكر والتصريح (قصص/أحداث/أسماء). ودقّق النظر إثر ذلك في الفوارق بين الديانات الكتابيّة الثلاث اليهوديّة والمسيحيّة والإسلاميّة. وقد مكّنت هذه التباعدات الجوهريّة الدينيّة من الحديث عن الرّوافد والجذور التاريخيّة لهذه الأديان التوحيديّة وهي المضامين الأسطوريّة والمرويات القديمة التي هاجرت من وطن النّشأة ونعني بها الديانات الهندوسيّة البوذية والفارسيّة والصينية القديمة لتستقرّ في وطن النصّ المقدّس وهي الاقتباسات التي منها استلهم النصّ المقدّس البعض من مرويّاته ليبني بها قصصا للخلق وبدايات التكوين وليؤسّس بها طقوسا وعبادات استحالت فيما بعد مرتكزات للعقيدة وتشريعاتها الدينيّة على الرّغم من الفراغات النصّية التي تجلّت عالقة بهذه النصوص في حديثها عن التصوّرات الأخرويّة ومصير الأجساد والأرواح بعد الموت وهو ما يدفع القارئ إلى تأويل مقاصد هذه النصوص من التكتّم عن التصريح.←

RadioMed
une vague de bonheur
Écoutez-nous sur :
NABEUL HAMMAMET 100.0 FM
CAP BON GRAND TUNIS 104.1 FM
FM @RadioMedTunisie
MOBILE RadioMedTN
WEB
PODCASTS Radio Med
Téléchargez notre application maintenant Sur Google Play !!
GET IT ON Google Play
Cité El Wafa Nabeul Jadida 8000 Nabeul-Tunisie
www.radiomedtunisie.com
(+216) 72 32 85 00
(+216) 72 32 85 60
marketing@radiomedtunisie.com

أمّا الباب الثالث والأخير من هذا الكتاب فخصّصه الباحث لقراءة المحمولات الرمزيّة للصّمت، وتناول فيه بالدراسة والتحليل إشكاليّة القراءة والتأويل للنصوص المقدّسة وما يطرحه الصّمت من دوافع لاستحضار المتلقّي وتشريكه في إنتاج المعنى المحذوف واستنطاقه ضمن إشكاليّة المتخيّل والرمزي لسدّ فراغات النصّ وتفصيل ما أبهم من هذه النّصوص المقدّسة حتّى لكأنّ الصّمت محنة تسلب المتكلّم حقّه في الكلام وتكشف عن أثر غياب الكلام وموت العلامة اللسانيّة في ضبط مقاصد الشريعة واستخلاص الأحكام الشرعيّة لبعض المسائل التي صمتت نصوص التوراة والإنجيل والقرآن عن التصريح بالحكم في شأنها. فهل ينتفي المقدّس كلّما حضر الصمت أم أنّ المقدّس يمكن أن يتكلّم في صمته؟

وفي خاتمة هذا الكتاب تعرّض الباحث إلى الحديث عن بدائل اللّغة ونعني بذلك حركات البدن وإشارات الحواسّ التي استعاضت بها نصوص الكتاب المقدّس والقرآن عن اللّغة وعن الكلمة والنّطق في تصريف المعنى وإنتاجه.

ولم يكن طرح الكاتب لموضوع الصّمت في النّصوص المقدّسة طرحا وصفيّا انطباعيّا وإنّما كان مقاربة علميّة بأدوات تحليل منهجيّ وعلميّ يتوسّل بآليات المناهج الحديثة كالمنهج السيمولوجي في تقاطعه مع المنهج البنيوي في مستوى تفكيك التصوّرات المعرفيّة للنصّ في بنيته السطحيّة والعميقة ونظام العلاقات القائمة داخل النصّ حيث استفاد الكاتب من منجزات مباحث علم الاجتماع والدراسات الانثروبولوجيّة في ردّ الظاهرة الدينيّة إلى أصول اجتماعيّة بشريّة واستعان بمباحث ميرلوبونتي في انفتاح النصّ على الذّات، ومنجزات مباحث علم النفس التحليلي الفردي والجمعي في دراستها للمقدّس ومنجزات المقاربات السيميائيّة في دراسة الأساطير وفي دراسة أنساق الدلالات غير اللسانيّة في خطابات النّصوص الدينيّة، بالإضافة إلى الاستفادة من منجزات المقاربات التأويليّة في تأويل الفجوات السرديّة داخل النّصوص المقدّسة أثناء الحديث عن سلطة المتلقّي في إنتاج المعنى .وعلى العموم ساعدت جميع هذه المقاربات والمناهج الحديثة على تطوير مشروع هذا الكتاب وتوسيع آفاقه شكلا ومضمونا.

وقد راهن هذا الكتاب على تعميق الوعي بهذه النوعيّة من النّصوص الدينيّة وهي النّصوص المقدّسة لإرساء رؤية علميّة حداثيّة خالية من خلفيات التقديس والتمجيد ومن نوايا التهميش والتهجين لتجاوز الصورة النمطيّة التي استقرّ عليها مفهوم الصّمت ورسمتها الدراسات التداوليّة في كونه علامة بلاغيّة تنهض بوظيفة جماليّة في بنية النصّ ومعناه ، وإنّما الصّمت كما الكلمة عملان لغويان موظّفان للتعبيّر. ومن رهانات هذا الكتاب أيضا حثّ الفكر الإنساني على التفكير في المسكوت عنه في الكلام الإلهي إذ لم تعد الكلمة وحدها على رأي الدراسات اللسانيّة هي المرجع الوحيد في تأصيل المعنى أدبيّا كان أو دينيّا وإنّما المعنى هو نتاج تفاعل بين منشئ النصّ وقارئه وحينئـــذ لا يمكن فهم المسكوت عنه بمعزل عن فهم المنطوق به . وهو ما انتهى إليه صاحب الكتاب من أنّ الصّمت ليس غيابا كليّا للغّة ولا قطعا نهائيّا مع النّطق والكلام وإنّما هو سياسة في إخراج القول وصياغته بشكل مخصوص، وهو استراتيجيّة في إنتاج المعنى وفي تشكيل بنيّة النصّ، وإنّ من ينشئ النصّ يعمد لحظة الإنشاء إلى ممارسة ضربين من الصمت، أحدها يتعلّق بصمت واقع في مستوى الخطاب ومن نتائجه الحذف والإيجاز والاختصار والثاني هو صمت واقع في مستوى القول والتلفّظ ويتجلّى في امتناع المتكلّم عن النّطق وانقطاعه عن الكلام ، وهذان الصنفان من الصّمت يحضران في صفحات الكتاب المقدّس والقرآن .كما بيّنت لنا أبواب هذا الكتاب وفصوله أنّ مفهوم الصّمت مثّل في الديانات الإبراهيميّة الكتابيّة همزة وصل بين عالم الغيب وعالم الشهادة فلم تعد الكلمة وحدها هي العهد والميثاق الجامع بين السماويّ والأرضيّ وإنّما ينضاف إليها فعل الصّمت ركنا أساسيّا من أركان العلاقة بين المطلق والنسبيّ، فطالعتنا عائلة مريم العذراء في الديانة المسيحيّة وهي تعيش ضروبا من الصّمت ومن هذا الصّمت تستوحى الخوارق ويؤتى بالمعجزات.. نذكر منها الصّمت في حياة مريم العذراء وفي علاقتها بيوسف النجّار وفي بشارة المسيح، وهو ما تناقلته نصوص القرآن في حديثها عن صمت المسيح وأمّه مريم العذراء. كما أنّ الانقطاع عن الكلام في الديانات السماويّة له بعد روحانيّ نفسيّ، فاليهوديّ يركن إلى الصّمت ليتمكّن من الإصغاء إلى الكلمة الربّانيّة الصادرة عن الإله يهوه، ويسوع المسيح يختار الصّمت موقفا من بعض الأحوال والأحداث ، والنبيّ محمّد يختار العزلة الصامتة لتقبّل الوحي الإلهي في بدايات الدعوة المحمديّة. والصّمت أيضا هو علامة غضب يعتري إله بني إسرائيل حيث يصمت عقابا لشعبه وهو ما دفع النبّي إشعياء إلى التضرّع حتى يكفّ الإله عن صمته ويعود لمواصلة التواصل مع أنبيائه، ولعلّه نفس الصّمت الذي عاشه نبيّ الإسلام محمّد حين فتر الوحي الإلهي وغابت عنه بوادر الرسالة السماويّة.ومن النتائج الأخرى التي خلص إليها الباحث في كتابه هذا، هو أنّ المسكوت عنه في النصوص المقدّسة كان انقطاعا للكلام مثلما كان امتناعا عن القول والذّكر والتصريح، إذ نلاحظ في قصّة الخلق وبدايات التكوين وكذلك أيضا في الحديث عن التصوّرات الأخرويّة للديانات الكتابيّة أنّ النّصوص المقدّسة تصمت عن إيراد ذكر بعض أسماء الفواعل الفاعلة في الأحداث كما تصمت عن ذكر تفاصيل بعض الوقائع والمشاهد، وتصمت أيضا عن التصريح بالرّوافد التي استقت منها بعض القصص والمضامين الدينيّة. وآخر نتيجة يمكن ذكرها في خاتمة عرضنا للنتائج والاستنتاجات التي وصل إليها هذا الكتاب هو أنّ مقولة الصّمت يمكن أن تكون مرتكزا في تأويل نصوص الكتاب المقدّس القران بما أنّ مبحث الهيرمونيطيقا لا يكتفي بظاهر النصّ بل يتوجّه إلى باطن النصّ والخفايا المضمرة في داخله كما أنّ تجلّيات الصّمت في سيميائية القول يستبطن مضامين مسكوتا عنها تدفع بالقارئ أن يحثّ التفكير إلى تأويل ما تكتّم النصّ عن ذكره وتأويل ما سكت منشئ النصّ عن التصريح به وهـــو ما يمنح المتلقّي إمكانات غير متناهيّة من التّخييل ومن توسيع آفاق المتخيّل وحدوده. «ولأنّ معرفة الله لا تكتمل بفهم كلامه بل بفهم صمته أيضا فإنّ جميع الأديان تلتقي في محيط الصّمت، ويظلّ الصّمت وحده هو أعظم الأشياء أمّا ما سواه فوهن» حسب عبارة الشاعر الفرنسي الفريد دوفينيي.»

FM
Jawhara
Diga
DIGA
DU LUNDI AU VENDREDI
DE 17H à 20H
مع جعفور
CREATED BY GTEAM 99289999

بطاقة

بقلم الصحبي الوهايبي

الحــيّ والمـيّــت

هذه القصّة سأرويها لكم كما قرأتها دون زيادة أو نقصان، وما فائدة أن أكذب؟ فـــإن صدّقتم وصادفت من أنفسكم هوًى فذلك بعض ما ورثت عن أمّي إذ كانت شديدة في الحقّ، تفلق حبّة القمح أنصافا وأرباعا وأسداسا وأثمانا حتى تؤدّيَ كلّ ذي حـــقّ حقّه. وإذا لم تصـــدّقوا القصّة وصادفت، رغم ذلك، من أنفسكم هوًى، فذلك بعض ما ورثت عن أبي، فقد كان يجعل من الحبّة قبّة حتّى يطعم هذا وذاك. كـــان ذلك في أوائل الخمسينات من القرن الماضي حين أرست سفـــينة أنجليزيّة في أحد موانئ سكوتلاندا وأفرغت حمولتها من خمور معتّقة جلبتها من أرخبيل ماديرا البرتغالي، وعندما فرغ الحمّالون من عملهم، دخل بحّار غرفة التّبريد، يتفقّد إن تمّ كلّ شيء على ما يرام. ودون أن يتفطّن، أغلق بحّار آخر باب الغرفة عليه، وأبحرت السّفينة عائدة إلى البرتغال، وظلّ البحّار الحبيس يصيح ويصرخ ويطرق جدران الغرفة دون أن يسمعه أحد، حتّى بحّ صوته وهدّه الإعياء. كان حوله طعام كثير، يفي بحاجته، ولكن مـــا فائدة الطّعام وهو هالك من شدّة البرد لا محالة؟ كان يعلم انّه سيموت متجمّدا وكان في عزّ شبابه، مقبلا على الحياة، فكيف يموت وهو لم يقل للتي يحبّها إنّه يحبّها؟ وكيف يموت وهو لم يقل للذي يكرهه إنّه يكرهه...كان يريد أن يدوّن محنته وساعاته الأخيرة، فالتقط قطعة من رصاص وطفق يخطّ على جدران الغرفة تلك اللّحظات العصيبة التي عاشها، ساعة بساعة ويوما بيوم، بدقّة علميّة باهرة...أطرافي ترتعش وأنفي بدأ يتجمّد، لا أجد أذنيّ، أصابع رجليّ ويديّ تحترق من شدّة البرد، والهواء البارد الذي أتنفّسه ينزل في رئتيّ مثل لسعة لا تُطاق. يا رب، لم أعد قادرا على الكتابة وأصابعي لا تطاوعني...وعندما ألقت السّفينة مراسيها في برشلونة، فتح القبطان باب غرفة التّبريد فألفى الرّجل ميّتا، وقرأ ما خطّه على الجدران وكان مندهشا، يكاد لا يصدّق، وله في ذلك عذره، فقد قاس وعاد يقيس حرارة الغرفة، كانت عشرين درجة فوق الصّفر. كانت السّفينة قد أفرغت حمولتها في سكوتلاندا ولم يكن ثمّة داع لتشغيل نظام التّبريد في رحلة العودة. مات الرّجل لأنّه كان يتصوّر أنّه يتجمّد من شدّة البرد. مـــات ضحيّةَ خياله أو وسواسه. هنـــاك من يموت بخياله، وهناك من يحيا بخياله...

أمس، قرأت خبرا يقول إنّ الجيش الوطني أبطل مفعول قنبلة من مخلّفات الحرب العالميّة الثّانية. تلك قنابل الرّشّ والبارود، فمن لنا بمـــن يبطل مفعـــول قنـــابـــل بـــدون رشّ أو بـــارود، موقوتة وغير موقوتة، مدفونة وعارية، بكفن وبدون كفن؟ مضى زمن، كان الفتية في ريفنا القصيّ يعالجون فيه القنـــابـــل التي لم تنفجر علّهم يفوزون بقليل من بارود يقدحونه في الأعراس ويتباهون به أمام الصّبايا، فيغنمون أحيانا حفنة بارود ويخلّفون أحيانا كثيرة بعضا من أصابعهم أو أطرافهم أو أرواحهـــم، ويذهب دمهم هدرا بين جيوش المحور وجيوش الحلفاء. والقنـــابل قنـــابل، هنـــاك قنبلة الموسم، والقنبلة اليدويّة وقنبلة الصّـوت وفجعتها أشدّ من فعلتها وقنبلة الضّـــوء، تعمـــي ولا تضيء، وهناك القنابل المزروعة على جنبات الطّريق، والقنابل التي تسير على الطّريق، وهناك القنابل الذكيّة، ويحدث أحيانا كثيرة أن يصيبها مسّ من غباء (وفي الأصـــل، كلّ القنابل غبيّة) فتسقط حيث يجب ألاّ تسقط، وتقتل حيث يجب ألاّ تقتل، وهناك القنابل الغبيّة، وهذه، لا لـــوم عليها ولا تثريب، تسقط حيث يعنّ لها أن تسقـــط وتقتل حيـــث يعنّ لها أن تقتل، وهناك القنابل العنقوديّة وقنابل الفســـفـــور، وهذه تقتل دون حسيب أو رقيب، بالشّبهة وبدون شبهة.

ص.و.